(١٠١) مَا أوَّلُ ما يقولُ اللهُ للمؤمنين يَوْمَ القيامةِ .. يا رسولَ الله؟

عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إن شئتُم أنبأتكُمْ ما أولُ ما يقول اللهُ للمؤمنين يوم القيامة، وما أول ما يقولون له: فإن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتُم لِقَائى؟ فيقولون: نعم يا ربنا ، فيقول: لِمَ؟ فيقولون: رجوْنَا عفْوَكَ ومغفرتك، فيقولُ: قد أوجبتُ لكم عَفْوى ومغفرتى**) .

[أخرجه ابن المبارك، وأبو داود الطيالسى ، والإمام أحمد فى مسنده ، وابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله ، والطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شُعَب الإيمان .. وهو فى الصغير برقم ٢٦٦٥ ورمز له بالحُسْن]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ ـ من خلال إجابته ـ إلى أهم الإشارات التى ينبغى علينا نحن المؤمنين الصادقين ـ إن شاء الله ـ أن نكون على علم بالمراد منها .. حتى نكون من هؤلاء الذين يعملون ألف حساب لهذا اليوم الآخر الذى ستُبلى فيه السرائر [١٥١٢].. وسنكون فيه فى أشد الحاجة إلى البشائر .

إن الله تبارك وتعالى ـ كما أشار الحديث ـ سيسألهم أولاً: (**هل أحببتُمْ لِقَائى** ؟) فيقولون: نعم، يا ربنا .. وهذه إشارة أولى ، وردت فى نص حديث شريف:

(عن) عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءه، ومَن كَرِهَ لقاءَ الله كَرِهَ اللهُ لقاءه ، فقلت: يا نبى الله أكراهية الموت، فكُلُّنا يكره الموتَ** [١٥١٣] ؟ **قال: ليس ذلك**[١٥١٤]، **ولكن المؤمنَ إذا بُشِّر**

(١٥١٢) كما يشير إلى قول الله تعالى فى الآية رقم ٩ من سورة الطارق: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾، أى: تظهر.

(١٥١٣) يعنى: إذا كان المراد بلقاء الله الموت فكلنا يكره الموت، فما المخلص من هذا ؟

(١٥١٤) أى: ليس الأمر كما تتوهمون من تعلق محبة اللقاء أو كراهته بمحبة الموت أو كراهته.

برحمة الله ورضوانه وجنته: أحبَّ لقاء الله ، فأحبَّ الله لقاءه [١٥١٥]، وإن الكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسَخطه: كره لقاءَ الله ، فكَرِهَ اللهُ لقاءه).

[أخرجه البخارى ومسلم [١٥١٦] ، والترمذى والنسائى]

قال الخطابى: (محبة اللقاء إيثار العبد الآخرة على الدنيا ، وأن لا يُحبَّ طول القيام فيها ولكن يستعد للارتحال عنها . ثم يقول: واللقاء على وجوه ، منها: الرؤية ، ومنها: البعث ، كقوله تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ**﴾ [١٥١٧]. أى: بالبعث، ومنها: الموت كقوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**﴾[١٥١٨]) ا هـ.. وتفسير اللقاء هنا بالموت بعيد ، بل الظاهر أنه الثواب والأجر وقال ابن الأثير: المراد باللقاء المصير إلى الدار الآخرة ، وطلب ما عند الله ، وليس الغرض به الموت ، لأن كُلاً يكرهه ، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ، ومَن آثرها وركن إليها كره لقاء الله . (ومحبة) لقاء عبده إرادة الخير له ، وإنعامه عليه . وقال فى الفتح: (العُدول عن الضمير إلى الظاهر فى قوله: (أحب الله لقاءه) للتفخيم والتعظيم ، ودفع توهُّم عَوْد الضمير على الموصول لئلا يَتَّحد فى الصورة المبتدأ والخبر ، ففيه إصلاح اللفظ لتصحيح المعنى) .

(هذا) ، وإذا كان المعنى المفهوم عند كثير من الناس ، هو كراهة الموت.. (فقد) قرأتُ أن أحد الصالحين سُئِل: ما لنا نكره الموتَ؟ فقال: لأنكم عَمَّرتم الدنيا، وخَرَّبتم الآخرة .. فقيل له: وكيف القُدوم على الله عز وجل؟ فقال: أما المحسن ـ أى الذى أعماله حسنة ـ فكالغائب ـ أى عن أهله ـ يأتى أهله فرحًا ، وأما المسىء ـ أى الذى أعماله سيئة ـ فكالعبد الآبق ـ أى: الهارب من سيده ـ

(١٥١٥) كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ الآية رقم ٣٠ من سورة فصلت.

(١٥١٦) أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق بروايتين إحداهما عن عبادة بن الصامت والأخرى مختصرة عن أبى موسى رضى الله عنهما ، ورواه مسلم عن عائشة وأبى هريرة فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة فى باب: من أحب لقاء الله .. الخ .

(١٥١٧) يونس: من الآية ٤٥ .

(١٥١٨) العنكبوت: من الآية ٥ .

يأتى مولاه خائفًا محزونًا .

(فلنفهم) المراد من هذا النص الأخير حتى يكون العكس بالنسبة لنا هو الصحيح .. (أعنى) حتى نكون من المؤمنين الصادقين الذين يُؤثرون الآخرة على الأولى .. ﴿ **وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ (١٥١٩) ، وإذا كان هذا هو المعنى المشار إليه فى صحف إبراهيم وموسى ، فقد قرأت توضيحًا له: أن الله تبارك وتعالى قال فى (صحف إبراهيم وموسى) مخاطبًا الدنيا: (**يا دُنْيا ما أهونَكِ على الأبرار الذين تَزَيَّنْتِ لهم .. إنِّى قذفْتُ فى قلوبهمُ بغضَكِ والصبرَ عنكِ .. ما خلقتُ خلقًا أهون علىَّ منكِ .. إنى قضيتُ عليكِ يومَ خلقتُكِ أن لا تدومِى لأحدٍ، ولا يدومُ لكِ أحد**) .

(وإذا) كان المشار إليه بعد ذلك فى نص الحديث الذى ندور حوله ، هو رجاء العفو والمغفرة من الله تبارك وتعالى .. فإنه حسبى أن أُذكِّر الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. بنص حديث شريف:

(عن) أنس ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: (**يا بن آدمَ، إنك ما دعوْتَنى ورجَوتَنِى غفرتُ لك على ما كان منكَ ولا أُبالى، يا ابن آدم، لو بَلَغَتْ ذُنوبُكَ عَنانَ السَّماء ثم استغفرتنى غفرتُ لك، يا بنَ آدمَ لو أتيتَنِى بقُراب الأرض خطايَا** (١٥٢٠) **ثم لقِيتَنِى لا تُشركُ بى شيئًا لأتيْتُها بقُرابها مغفرةً**). [رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح]

(وعلى هذا) فإننى أوصيهما كذلك بالإكثار من الاستغفار المشار إليه فى نص الحديث الأخير .. والذى أرجو أن يكون بسيد الاستغفار الذى ورد فى نص حديث صحيح (١٥٢١)، جاء فيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوء لك**

(١٥١٩) سورة الأعلى: الآية ١٧ .

(١٥٢٠) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا.

(١٥٢١) رواه البخارى .

بنعمتك علىَّ ، وأبوء بذنبى [١٥٢٢] فاغفر لى فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت).

يقول النبى ﷺ: (مَنْ قالها فى النهار موقنًا بها فماتَ من يومه قبل أن يُمسِى فهو من أهل الجنة ، ومَنْ قالها من الليل وهو مُوقن بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة) .

أسأل الله تعالى أن يحقق لنا هذا .. اللهم آمين .. اللهم آمين .. اللهم آمين ،،

(١٠٢) مَنْ هُو أبغَضُ الرجال إلى الله .. أو أبغضُ الناسِ إلى الله .. يا رسولَ الله؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (أبغضُ الخلْقِ إلى الله الألدُّ الخَصِمُ) [رواه البخارى ومسلم]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أبغضُ الخلْق إلى الله مَنْ آمن ثم كفَر) [أخرجه الطبرانى باللفظ المذكور من هذا الوجه] [١٥٢٣]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (أبغضُ الرجالِ إلى اللهِ الألَدُّ الخَصِمُ) [١٥٢٤].

[أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أبغضُ الناس إلى الله ثلاثةٌ: مُلحدٌ فى الحرم، ومُبتغ فى الإسلام سُنَّة الجاهلية ، ومُطَّلبٌ دمَ امرئٍ بغير حَقٍّ ليُهْرِيق دَمَهُ) . [أخرجه البخارى والبيهقى]

ففى كل هذه الأحاديث الشريفة .. يجيب الرسول صلوات الله وسلامه عليه على كل تلك التساؤلات الهامة التى لابد أن تخطر لنا على بال حتى نجتنب كل الأسباب الموصِّلة إلى تحقيقها .. فيقول فى الحديث الأخير بالذات [١٥٢٥]:

(١٥٢٢) أى: أعترف بذنبى.

(١٥٢٣) وهو فى الصغير برقم ٥٤ ورمز له بالحسن.

(١٥٢٤) الألد: الشديد الخصومة بالباطل، والخصم المولَع بالخصومة الحريص عليها.

(١٥٢٥) لأنه يتعلق أو يدور حول أشد تلك الصفات استنكارًا .

(أبغضُ الناسِ إلى الله ثلاثةٌ) أى: أشدهم عذابًا ، والمراد عصاة المؤمنين. فالكافر أبغض منهم عند الله تعالى ، وغير العصاة من المؤمنين لا يشاركونهم فى البغض .. ومعنى: (مُلْحِد فى الحرم) أى: استحلال حرمته، وانتهاكها بفعل المعصية فيه .. إذ هو عاصٍ من وجهين. (ومُبتغٍ فى الإسلام سُنَّة الجاهلية) أى: طريقتها .. كنوْح النساء ، والأخذ بالثأر من قريب القاتل ، والحكم بغير ما أنزل الله .. وهكذا . (ومُطَّلبٌ دم امرئٍ بغير حق ليُهريق دَمه) بضم الميم وشد الطاء ، أى: يبالغ فى الطلب وينفذه ، ويُهريق من أهرق ، وخَصَّه لأنه الغالب فى القتل .. فالمدار على إزهاق الروح ولو لم يُرِق دَمًا أصلاً .

(وأمَّا) عن الكفر بعد الإيمان ـ وهو المشار إليه فى الحديث الثانى ـ فهو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾(١٥٢٦) ، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾** (١٥٢٧) .

وعن الوضين بن عطاء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

(أبغضُ خليقةِ الله إلى الله يَوْمَ القيامة: الكذابون، والمستكبرون، والمتكبرون، والذين يُكثرون البغضاء لإخوانهم فى صُدُورهم، فإذا لقوهم تخلَّقُوا لهم(١٥٢٨) **، والذين إذا دُعوا إلى الله وإلى رسُوله كانوا بُطَّاءَ، وإذا دُعُوا إلى الشيطان وأمرِه كانوا سِرَاعًا).**

[أخرجه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق]

وعن ابن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:**(أبغضُ الرجالِ إلى الله تعالى البليغُ الذى يتخلَّل بلسانه تخلُّل الباقرة بلسَانها).**

[أخرجه أبو نصر السجزى فى الإبانة]

(١٥٢٦) آل عمران: ٩٠.

(١٥٢٧) النساء: ١٣٧ .

(١٥٢٨) أى: افتروا الكذب.

(أى أن) المراد به: التشدُّق بالكلام وتفخيمه، فيلوكه بلسانه كما تلوك البقرة الكلأ بلسانها ، ويقال فى جمع البقر: باقر كعامل.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا المراد من كل تلك الإجابات الواضحة .. حتى لا يكونا والعياذ بالله من أبغض العباد إلى الله تبارك وتعالى فى الدنيا والآخرة .. وعليهما أن يحرصا كل الحرص على التخلُّق بأخلاق الصالحين والصالحات التى من أهمها التخلق بأخلاق القرآن المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٥٢٩).

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .. اللهم آمين ،،

(١٠٢) ما هى آيةُ المنافق الذى تُحذِّر من التخلُّق بأخلاقه .. يا رسول الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**آيةُ المنافق ثلاثٌ ـ وإنْ صام وصلَّى وزعم أنه مسلم ـ إذا حدَّث كذب ، وإذا وعَدَ أخلف ، وإذا اؤتمنَ خان**). [رواه مسلم]

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يُحدِّثنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن أهم صفات المنافق ، أى: علاماته التى تميزه وتدل عليه . حتى لا نتعامل معه، ولا نثق فيه .. لأنه لا عهد له .. (**وإنْ صام وصلَّى وزعم أنه مسلم**) (١٥٣٠) أى: ما دامت فيه واحدة من هذه الخصال ، فهو منافق حتى ولو كان يقوم بالعبادات الظاهرة من صلاة وصيام أو كان يَدَّعى الإسلام..

(١٥٢٩) المؤمنون: ١ ـ ١١.

(١٥٣٠) كما فى رواية مسلم .

والإسلام منه ومن أفعاله براء.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **(أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا** [١٥٣١] **، ومَن كان فيه خَصلة منْهُنَّ كانت فيه خَصلَةٌ من النفاق حتى يَدَعها** [١٥٣٢]: **إذا ائتُمِنَ خان، وإذا حَدَّثَ كذبَ ، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)**. [رواه البخارى ، ومسلم، وأبو داود، والترمذى والنسائى]

(ومعنى): **(إذا ائتُمِنَ خان)** ، أى: إذا أودع عنده شىء من سرٍّ أو مال أفشى السرَّ وأذاعه وبدَّد المالَ وأضاعه **(وإذا حدَّث كذب)** أى: إذا أخبر عن شىء لم يتحرَّ الصدق فى إخباره ، بل يتعمد الكذب. **(وإذا وَعَد أخلف)** أى: إذا وعد إنسانًا بعدَة أخلف وعده ولم يُنجزه **(وإذا عاهد غَدَر)** أى: إذا كان بينه وبين أحد عهد لم يَفِ به بل ينكثه وينقضه **(وإذا خاصم فجَر)** أى: إذا كانت بينه وبين أحد خصومة ارتكب ضده ما لا يليق من أنواع الأذى، ولم يقف فى خصومته عند حد ، فيكيد لخصمه ما استطاع حتى يستحل حرمته ، ويثلم عرضه، ويفترى عليه بالكذب، ويسعى به لدى الحكام والولاة ونحو ذلك .. والعياذ بالله.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يكونا من أهل النفاق والعياذ بالله .. بل عليهما أن يكونا على عكس هذا من المتخلِّقين بأخلاق المؤمنين التى من أهمها الصدق **(فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)**[١٥٣٣]، **(وإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة)** [١٥٣٤].

والله ولى التوفيق ،،

(١٥٣١) أى: كامل النفاق.

(١٥٣٢) أى: حتى يتركها.

(١٥٣٣) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح.

(١٥٣٤) من حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(١٠٤) بماذا أوحى اللهُ إلى مُوسَى بنِ عمْرانَ .. يا رسول الله؟

عن أبى الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(أوحى اللهُ إلى موسَى بن عمران: يا موسى ارضَ بِكِسْرَةِ خُبْزٍ من شَعِيرٍ تَسُدُّ بها جوعتَكَ ، وخرقَة توارِى بها عورتَكَ ، واصبر على المصيبات، وإذا رأيتَ الدنيا مقبلةً فَقُلْ: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) ، عقوبَةٌ عُجِّلَتْ فى الدنيا ، وإذا رأيتَ الدنيا مُدْبِرةً والفقرَ مُقْبِلاً فَقُلْ: مرحبًا بِشعَارِ الصالحين)** .

[رواه أبو نعيم فى الحلية، والديلمى]

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران: إنَّ فى أُمَّةِ مُحمَّد لَرِجَالاً يقومُونَ على كُلِّ شَرف وَوَاد، يُنَادُونَ بشهادَة أن لا إله إلا اللهُ ، جزاؤهم عَلَىَّ جزاءُ الأنبياء)** . [رواه الديلمى]

وعن أنَس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(أوحى اللهُ إلى موسى بن عمران : يا موسى إن من عبادى مَن لو سألنى الجنَّةَ بحذافيرها لأعطيتُه، ولو سألنى علاقَةُ سَوْط لم أُعْطه، ليسَ ذلك منْ هَوان له عَلَىَّ ، ولكنِّى أُرِيدُ أن أَدَّخِر له فى الآخرةِ من كَرامَتى ، وأحميَهُ من الدُّنْيا كَما يَحْمِى الراعِى غَنَمهُ من مَراعِى السُّوء ، يَا مُوسَى، مَا ألجأتُ الفُقراءَ إلى الأغْنياء، أن خزَائنَتِي ضاقت عنهم، وأن رحمتى لم تَسَعْهُم ، ولَكنِّى فرضْتُ للفقراء فى أموال الأغنياء ما يسعُهم . أَرَدْتُ أن أبلُوَ الأغنياءَ كيف مسارعتهم فيما فرضْتُ للفقراء فى أموالهم، يا مُوسى إن فعلوا ذلك أتْمَمْتُ عليهم نعْمتِي، وَأضعَفْتُ لهم فى الدنيا للواحدة عشر أمثالها. يا موسى كُنْ للفقير كَنْزًا ، وللضَّعيف حصْنًا، وللمستَجير غَيْثًا: أكُن لك فى الشِّدة صاحبًا ، وفى الوحدة أنيسًا، وأكلؤك فى ليلك ونهارك)** . [أخرجه ابن النجار]

هذا، وإذا كان لِى أن أدور ـ وبإيجاز ـ حول هذه الأحاديث الثلاثة .. بكل ما

فيها من الإشارات التى لابد أن ننتفع بها إلى آخر لحظة من لحظات حياتنا .. (فإننى) أُحبُّ أنْ أُشيرَ أولاً .. إلى أننا فعْلاً ـ كمؤمنين ـ إن شاء الله فى أشد الحاجة إلى مثل هذه المواعظ التى لا شك ستكون لنا زادًا روحيًا لنا فى جميع مراحل حياتنا .. ولا سيما فى مجال التعامل مع الله تعالى ، ومع الناس.

(وذلك) حتى يكون هذا التعامل لا شائبة فيه .. بمعنى أن يكون على أساس من الصدق فى هذا التعامل .. بتلك الصورة التى لابد أن تكون واضحة لناً جميعًا .. (وهى) أن نعلم أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية .. وأنه سبحانه لا ينظر إلى صورنا ، ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا [١٥٣٥] .. (وكذلك) بالنسبة للناس الذين نتعامل معهم تعاملاً دنيويًا وأخرويًا .. (فإنهم) لابد أن يتعَوَّدوا الصدق منا فى هذين المجالين .. حتى يستمر التعامل معهم على أساس مُتقن يُحبُّه الله ورسوله .. (بل) وصالحو المؤمنين .. (وكل) هذا لن يكون إلا بمثل هذه المواعظ التى كما قلت: نحن المؤمنون فى أشد الحاجة إليها .. (وإذا) كان الله تعالى قد قال لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴿٥٥﴾﴾[الذاريات] . (فما بالكم) بغير المؤمنين .. الذين﴿**نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾[الحشر:١٩]، فأصبحوا: ﴿**كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾[الأعراف: ١٧٩]، إنهم لا شك أَوْلَى بالتذكير من غيرهم .. عسى أن يهتدوا كما اهتدينا .. ﴿**وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٤٣] .

(ولهذا) فقد قرأت عن الحسن البصرى ﷺ قوله: (الموعظة موقظة للقلوب من سنَة الغفلة ، ومُنْقذَةٌ للبصائر من سكْرة الحَيْرة، ومُحْييةٌ لها من موت الجَهالة ، ومُستخرجَة لها من ضيق الضلالة).

(وتلك) هى الخلاصة المفيدة التى لابد أن نَتَّفقَ عليها .. حتى نحرص دائمًا وأبدًا على إيقاظ قلوبنا وإصلاحها بمثل تلك المواعظ النافعة التى ستجعل القلب صالحًا بتلك الصورة المشار إليها فى قول الرسول ﷺ:

(أَلاَ وإن فى الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَد كُلُّه، وإذا فَسَدَتْ

(١٥٣٥) كما ورد فى نص حديث شريف.

(وعلى) هذا، فإننا نستطيع الآن . وبعد هذا التمهيد الهام .. أن نبدأ ـ وبتركيز إجمالى ـ فى شرح المراد من تلك الروايات الثلاثة حسب ترتيبها..

ففى الحديث الأول يوصى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام بوصايا هامة ـ لابد أن ننتفع بها نحن كذلك ـ وهى: أن يكون راضيًا بالقليل من أزواد هذه الدنيا التى لا دوام لها .. والتى قال الله تعالى عنها فى قرآنه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أى: لمن باع الآخرة بالدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أى: لمن باع الدنيا بالآخرة.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٥٣٦) ، أى: وما زينة الحياة الدنيا المعجَّلة لكم أيها الناس إلا متاع الغُرور .. قال ابن كثير: أى هى متاع فَانٍ، يَغْتَرُّ بها من يعتقد أنه لا دار سواها ، ولا معَاد وراءها ، وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .. (وفى) الحديث: **(موضع سوط فى الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها)** [أخرجه البخارى فى الرقاق، والإمام أحمد فى المسند]

(وهذا) معناه أنها دار مؤقتة لا دوام لها .. (وقد) وصفها الإمام على ﷺ بقوله: (.. أوَّلها بكاء، وأوسَطُها عَناءٌ ، وآخرها فناء). (ولهذا) فإنه ينبغى أن يُكتفى منها بزاد المسافر .. كما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى (عن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال: **(كُن فى الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل)**.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول (١٥٣٧): إذا أمسَيْتَ فلا تنتظر الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وخُذْ من صحتك لمرضكَ ، ومن حياتك لموتك .

(١٥٣٦) الحديد: ٢٠.

(١٥٣٧) أى: معلِّقًا على وصية الرسول ﷺ له.

(وقد) قال الإمام النووى [١٥٣٨] شارحًا ما قاله الرسول ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: أى: لا تركن إليها ـ أى: إلى الدنيا ـ ولا تتخذها وطنًا ، ولا تُحدِّث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلَّق منها إلا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله ، وهذا معنى قول سلمان الفارسى رضي الله عنه: **(أمرنى خَلِيلى صلى الله عليه وآله وسلم أنْ لاَ أتخذَ من الدُّنيا إلا كَمتَاع الرَّاكبِ)** ، أى: المسافر .. ولله دَرُّ مَنْ قال:

أتبنى بنـــاء الخالـدين وإنما ... مُقَامك فيهـا لو عقلتَ قلـيلُ
لقد كانَ فى ظِلِّ الأراكِ كفايةٌ ... لمن كانَ فيهـا يعتريـــه رَحِيلُ
ترجُو البقاءَ بدارٍ لا بقاءَ لَها ... وَهلْ سمعتَ بظلٍّ غيرِ مُنْـتَقِلِ
سُجِنْتَ بها وأنت لـهـا مُحِبٌّ ... فكيف تُحِبُّ ما فيـهِ سُجِنْتَـا
فَـلاَ تلْهُو بـدارٍ أنتَ فيها ... تُفارق منـــك يومًـا ما لَهَوْتَـا
وتُطْعِمُكَ الطعامَ وعـن قريبٍ ... تُفارق منـــك يومًـا ما لَهَوْتَـا

(وتلك) هى الخلاصة التى لابد أن ننتهى إليها .. حتى لا نغتر بالدنيا فنُعْطيَها أكثر من حقها (فقد) ورد عن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال:**(عرضَ عَلَىَّ رَبِّى ليَجعَلَ لِىَ بطحاء مكة ذَهَبًا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا ، وأجوع يومًا ، أو قال: ثلاثًا، أو نحو هذا، فإذا جُعْت تضرعتُ إليك [١٥٣٩] وذكرتُك ، وإذا شَبِعْتُ شكرتُك وحمدتُك)** [١٥٤٠] .

[رواه الترمذى ، وقال: حديث حسن]

(فالنبى) ﷺ ـ كما أشار هذا الحديث ـ لم يرْضَ بما عرضه عليه ربه من متاع الدنيا وزينتها ، وآثر أن يعيش على الكفاف مكتفيًا باليسير وراضيًا به .. ليكون المثل الأعلى فى الزهد والقناعة .. لكل فرد من أفراد أمته إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

(١٥٣٨) فى شرح الحديث الأربعين . . من الأربعين النووية.
(١٥٣٩) أى: سألتك من فضلك ضارعًا إليك ضراعة العبد الخاشع الذليل.
(١٥٤٠) أى: قمت لك بحقك من الشكر والثناء على سابغ نعمتك وعظيم فضلك.

(بل) ورد (عن) أبى الدرداء ﷺ قال: قال النبى ﷺ: **(مَا طَلعتْ شَمْسٌ قَطُّ إلا بُعِث بجنْبتَـيْهَا مَلَكَان يُناديان يُسمعَانِ أهـلَ الأرض إلاَّ الثقلين** (١٥٤١): **يا أيها الناس ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكُم ، فإن ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كَثُر وألْهَى)** .

[رواه أحمد ورواته رواة الصحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال: صحيح الإسناد]

(وعن) فضالة بن عُبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:**(طُوبَى** (١٥٤٢) **لِمنْ هُدِىَ للإسلام، وكان عَيْشُه كَفَافًا وقَنِعَ)**.

[رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح والحاكم . وقال: صحيح على شرط مسلم]

(فليفهم) الأخ المسلم كل هذا .. حتى لا يكون من المنشغلين بحطام الدنيا الزائل عن أعمال الآخرة .. (بل) وحتى يرضى بما قسم الله تعالى له .. مع الأخذ بأسباب التوسعة المشار إليها فى قول الله تعالى: **﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾** (١٥٤٣).

(وعليه) أيضًا أن يصبر على مصيبات الدنيا .. (بمعنى) أن يكون من المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾** ثم بعد ذلك يقول سبحانه: **﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾** (١٥٤٤).

(وعن) عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **(مَا من مُصيبَة تُصيبُ المُسْلِمَ**(١٥٤٥) **إلا كَفَّر الله عنه بها ، حتى الشوكة يُشَاكُهَا)** .

[رواه البخارى ومسلم]

وفى رواية لمسلم: **(لا يُصيبُ المؤمنَ شوكةٌ فما فوقها** (١٥٤٦) **إلا نقصَ**

(١٥٤١) أى: الجن والإنس.

(١٥٤٢) أى: العاقبة الطيبة، وقيل: هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام.

(١٥٤٣) النساء: من الآية ١٠٠.

(١٥٤٤) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(١٥٤٥) والمعنى أى مصيبة تصيب المسلم صَغُرت أم كَبرت.

(١٥٤٦) أى: حتى ولو كانت هذه المصيبة شوكة شِيكَ بها، فإنه يُكفَّر عنه بها.

اللهُ بها مِنْ خطيئته). وفى أُخرى: (**إلا رفعهُ اللهُ بها دَرَجَةً ، وحَطَّ عنه بِهَا خَطيئةً**).

(وعليه) أيضًا إذا أقبلت الدنيا عليه .. أن يَفِرَّ منها ـ أى: من زينتها وفتنتها ـ وهو يتلو قول الله تبارك وتعالى: (**إنا لله وإنا إليه راجعون**)، حتى يفهم أنه فى لحظة ما سيترك الدنيا بكل ما فيها من متاع .. وسيرحل إلى الله تبارك وتعالى وليس معه إلا ما قَدَّمَه من أعمال صالحة أو طالحة.

قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ**﴾[١٥٤٧] ، وقال: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾ أى: كأن تلك الزروع والنباتات ، لم تكن بالأمس نابتة ظاهرة على ظهر الأرض.. فكما أهلكنا نبات هذه الأرض بعد حُسنها وبهجتها، فكذلك يأتى الفناء على الدنيا وزخارفها فيُفنيها ويُهْلِكُها ﴿**كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١٥٤٨].

(وهذا) تنبيه من الله تعالى لعباده .. حتى لا يطلبوا الدنيا وزينتها ـ بتلك الصورة التى تشغلهم عن الله ـ وحتى يعلموا كذلك أن مصير الدنيا إلى فناء .. كما صار النبات إلى هلاك وبوار .. (بل) وحتى يكونوا بسبب هذا المفهوم الواضح من أهل الآخرة التى هى دار القرار .. قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾ أى: لَهِى الحياة الحقيقية ﴿ **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[١٥٤٩] .

(وعليه) كذلك حتى يزهد فى الدنيا ـ بمعنى ـ أن يُخرِج حُبَّها من قلبه .. أن يعلم أن الدنيا إذا أقبلت عليه .. (أن هذا) قد يكون بالنسبة له: عقوبة عُجِّلَتْ له فى الدنيا .. حتى يحذر شَرَّهَا ، والوقوع فى شِباكِهَا .. التى يقوم الشيطان بتصنيعها لحسابها .. ولله دَرُّ من قال:

(١٥٤٧) غافر: من الآية ٤٣.

(١٥٤٨) يونس: ٢٤.

(١٥٤٩) العنكبوت: من الآية ٦٤.

هِيَ الدُّنيا تقـــولُ بِمـــلْءِ فِيهَا حَذَارِ حَذَارِ من بَطْشِي وفَتْكِي
فـــلا يَغُـــرُركمـــوا منِّي ابتسَامٌ فقوْلِي مُضْحِكٌ والفعـل مُبكِي

(وعليه) أيضًا .. إذا رأى الدنيا مدبرة ـ عنه ـ وإذا رأى الفقر مقبلاً ـ أى: فى الطريق إليه .. أن يقول: (مرحبًا بشعار الصالحين).

(وذلك) حتى يعلم أنه ليس وحده المتعرض لمثل هذا .. وإنما أكثر الصالحين ـ كما ورد فى السنة الشريفة ـ لم يكونوا من أبناء الدنيا.

(فعن) أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**اللهمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**) (١٥٥٠) وفى رواية: (كَفافًا) (١٥٥١).

[رواه البخارى ومسلم، والترمذى ، وابن ماجه]

(وعن) سَهْل بن سَعْد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لو كانت تعدلُ عند اللهِ جناحَ بعوضَةٍ ما سَقَى كافرًا منها شربةَ ماءٍ**).

[رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حديث حسن صحيح] .

(فهذا) الحديث يشير فى مضمونه إلى ملاحظة هامة .. وهى أن هذه الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة لأعطاها لأحبَّائه وأوليائه .. (بل) وأنبيائه .. (ولكنه) سبحانه لهوان الدنيا عنده أعطاها لمن كفر به .. ولأكثر هؤلاء الذين لا خلاق لهم .. (وذلك) حتى نعلم جميعًا أن الدنيا ليست دليلاً على حُبِّ الله تعالى لفلان أو بُغْضه له.

(بل) إن الله تعالى يقول فى قرآنه: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ**﴾ أى: من كان طلبه الدنيا ﴿**عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ**﴾ أى: عجَّلنا له فى الدنيا ما شئنا من بسط النعيم ، لمن نريد أن نفعل به ذلك. ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا**﴾ أى: ثم أصليناه فى الآخرة جهنم ، مذمومًا على قلة شكره، مُبْعدًا مَقْصيًا فى النار . ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا**﴾ أى: ومَن طلب الآخرة ، وعمل لها عملها،

(١٥٥٠) قال فى النهاية: (أى: بقدر ما يمسك الرمق من المطعم).

(١٥٥١) أى: قوت يومهم .. وذلك حتى يكونوا على صلة دائمة بالله .

وذلك بطاعة الله وما يرضيه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أى: وهو مُصدِّق بثواب الله وعظيم جزائه ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ أى: فهؤلاء يجزيهم الله أحسن الجزاء على أعمالهم الصالحة ، ويتجاوز لهم عن سيئها برحمته.

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (١٥٥٢) أى: أن الله تعالى يُمدُّ كلا الفريقين من عطائه الذى لا ينفد .. إلى بلوغ آجالهم .. وما كان عطاء ربك ممنوعًا عن أحد من خلقه .. قال قتادة: قسم الله الدنيا بين البَرِّ والفاجر ، وجعل الآخرة خصوصًا للمتقين .

(فلا تكُنْ) أيها الأخ المسلم من الذين يرجون العاجلة .. وإنما كُنْ على عكس هذا من المتقين الذين يرجون الآخرة .. التى ينبغى عليك أن تسعى لها سعيها بكل جدٍّ وإخلاص .. فى كل ميادين الخير ـ بصرف النظر عن كونك فقيرًا أم غنيًا ـ حتى يكون سعيك مشكورًا ...إن شاء الله .

وأما عن مضمون الحديث الثانى، فإن المشار إليهم فيه، هم: الدُّعاة إلى الخير .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ أى: ولتكُنْ منكم أيها المؤمنون جماعة، يدعون الناس إلى الإسلام وشرائعه . ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ، أى: يأمرون بالإيمان بمحمد ودينه ، وينهون عن الكفر بالله والتكذيب برسوله(١٥٥٣) ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٥٤).

(ويوم) أن نستجيب لهذا الأمر الإلهى .. ونكون من الدعاة إلى الخير .. (فإن) هذا سيكون معناه أننا من المشار إليهم فى هذا الحديث، (وأننا) كذلك من الذين اجتباهم الله تعالى لإعلاء كلمته ، ونشر رسالته التى بعث بها جميع رسله .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً﴾ ، أى: ولقد أرسلنا لكل أُمَّةٍ سَلَفت رسولاً . ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ، أى: بأن

(١٥٥٢) الإسراء: ١٨ ـ ٢٠ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . بتصرف.

(١٥٥٣) المعروف: كل ما استحسنه الشرع من قول وعمل، والمنكر: كل ما استقبحه الشرع من قول وعمل.

(١٥٥٤) آل عمران: ١٠٤.

اعبدوا الله وحده ، وابتعدوا عن الشيطان ، واحذروا أن يصدكم عن سبيل الله .. ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ (١٥٥٥) .

(ويوم) أن نشرف بهذا .. فإنه ينبغى علينا أن نشكر الله تعالى على أن جعلنا أهلاً لهذا الشرف الذى لا يدانيه شرف .. (ونحن) نسأله تعالى التثبيت .. وهم أيضًا المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أى: دعا الناس إلى الإسلام بقوله وعمله. ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥٥٦) ، أى: وخضع لله بالطاعة والعبودية ، والإيمان بالوحدانية.

(فهذه) الآية عامَّة فى كُلِّ مَن جمع الخصال الثلاث: الدعوة إلى الله ، وعمل الخير ، والاستقامة بعلمه وعمله .. (وقال) ابن كثير: هذه الآية عامَّة فى كل مَن دعا إلى خير وهو فى نفسه مُهتَدٍ، فنفعه لنفسه ولغيره . ا هـ .

(فلنكُنْ) كذلك ـ إن شاء الله ـ من هؤلاء المشار إليهم فى نص الآية حتى نكون ـ أيضًا ـ إن شاء الله تعالى من المشار إليهم فى نص الحديث الثانى، (وهم) الذين سيجزيهم الله تعالى جزاء الأنبياء، وهو أعظم جزاء، والله ولى التوفيق .

(وأمَّا) عن مُجمل المراد من الحديث الثالث: فإنه حسبنا أن نعلم أنه يشير إلى جملة حقائق عن الله تبارك وتعالى .. (لابد) أن نكون قد وقفنا عليها بمجرد الاستماع إليه أو النظر إلى كل كلمة من مفرداته .. (وهى) أن الله سبحانه وتعالى مالك الملك والملكوت .. (وأنه) سبحانه يعطى من يشاء ، ويمنع الخير عمَّنْ يشاء فى هذه الدنيا ـ لحكمة يعلمها هو ـ وقد يكون هذا المنع الصُّورِىُّ ادِّخارًا له فى الآخرة .. أو حماية له من الدنيا كما يحمى الراعى غنمه من مراعى السوء.

(وأنه) سبحانه وتعالى عندما فرض فى أموال الأغنياء حَقًّا معلومًا: (للسائل والمحروم) ، فإن هذا ليس معناه أن الله تعالى قد أراد بهذا أن يكون الفقراء فى

(١٥٥٥) النحل: ٣٦.

(١٥٥٦) فصلت: ٣٣.

حاجة إلى الأغنياء ـ بهذا المعنى الإذلالى الذى قد يفهمه بعضهم ـ (وإنما المعنى) هو أن الله تعالى قد أراد بهذا ـ وهو الحكيم الخبير ـ أن يكون هناك ربط اجتماعى بين فقراء المؤمنين وأغنيائهم .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (١٥٥٧).

(وقد) كان من الممكن أن يحتجز الله تبارك عنده ـ فى خزائنه ـ حق السائل والمحروم من أموال الأغنياء .. حتى يوصله سبحانه وتعالى إلى الفقراء توصيلاً مباشرًا حتى لا يذهبوا إلى الأغنياء لكى يأخذوا منهم زكاتهم .. (بالمنِّ والأذى)، (ولكن) الله تبارك وتعالى قد أراد بهذا ابتلاء هؤلاء الأغنياء واختبارهم ـ وهو أعلم ـ حتى يتضح ـ إذا كانوا سَيُوصِّلُون هذا الحق ـ الذى هو أمانة عندهم ـ إلى أصحابه الفقراء والمساكين .. أم لا ؟ ويا ويلهم إن لم يفعلوا هذا .. (أما) إن فعلوا ـ إن شاء الله ـ فإن الله تعالى سَيُتِمُّ عليهم نعمته .. وسيبارك لهم فى أرزاقهم وفى كل ما يملكون.

(هذا) وإذا كان الله تبارك وتعالى قد قال لسيدنا موسى عليه السلام، فى ختام الحديث (الثالث): (يا موسى: كُن للفقير كنزًا، وللضعيف حِصْنًا، وللمستجير غيثًا (أَكُنْ) لك فى الشِّدَّةِ صاحبًا، وفى الوحدةِ أنيسًا، وأكلؤُك(١٥٥٨) فى ليلك ونهارك).

(فإننى) أنصح الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. بضرورة أن يُنَفِّذا المراد من هذا النداء الأخير .. (حتى) يفوزا بكل هذا الخير المشار إليه بعد هذا .. (هذا) بالإضافة إلى ضرورة أن ينتفعا كذلك بكل هذا الخير الذى وقفا عليه من خلال شرح الأحاديث الثلاثة .. (مع) ملاحظة أن يحرصا على نشره (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه، أن النبى ﷺ قال: (**أفضلُ الصَّدقَةِ أن يَتَعلَّمَ المرءُ المسلمُ علْمًا ، ثُم يُعلِّمَهُ أخاهُ المسلمَ**) [رواه ابن ماجه بإسناد حسن] . والله ولى التوفيق ،،

(١٥٥٧) التوبة من الآية ٧١.

(١٥٥٨) أى : أحفظك وأرعاك.

(١٠٥) بماذا أوْحَى اللهُ تعالَى .. إلى عيسى بن مريمَ عليه السلامُ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**أوحى اللهُ تعالى إلى عيسى ابنِ مريمَ: يا عيسى بن مريم، عِظْ نفسكَ بِحكْمتى، فإن انتفَعتَ فعظ الناسَ، وإلاَّ فاستحِى منِّى**). [أخرجه الديلمى]

وعن أبى الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**أوحى اللهُ تعالى إلى عيسى ابنِ مريمَ فى الإنجيل: أن قُلْ للملأ من بنيِ إسرائيلَ: إن مَن صَامَ لمرضَاتِي أصْحَحْتُ لهُ جِسْمَهُ ، وأعظمتُ له أجرهُ**).

[أخرجه أبو الشيخ فى الثواب، والديلمى والرافعى]

(هذا) وإذا كان لىَ أن أدور وبإيجاز حول هذين الحديثين الشريفين .. حتى ننتفع بما فيهما من إشارات هامَّة .. لابد أن تكون واضحةً لنا .. حتى نفهم المراد منها .. (فإننى) أقول معلقًا على الحديث الأول بصفة خاصة:

إن الله تبارك وتعالى .. بقوله لسيدنا عيسى عليه السلام: (.. عظْ نفسك بِحكْمَتِى، فإن انتفعتَ فَعظ الناسَ ، وإلا فاستحى منى).

(فإنه) سبحانه وتعالى بهذا القول الجامع .. يضع النقط على الحروف بالنسبة لموضوع من أخطر المواضيع .. (ألا وهو) أن يكون الواعظ عاملاً بعلمه قبل أن يعظ الناس به .. وإلاَّ كان ـ والعياذ بالله ـ هؤلاء المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾؟، أى: أتأمرون الناسَ بطاعة الله وتعصونه أنتم؟ ﴿**وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾،أى: وتتركون أنفسكم من طاعته، فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس؟! ﴿**وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ أى:وأنتم تقرأون التوراة ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[١٥٥٩]؟

(١٥٥٩) البقرة: ٤٤. والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف.

أى: أفلا تفهمون قُبح ذلك الصَّنيع؟ والخطاب لأَحْبَارِ اليهود تقريعًا لهم وتَوْبيخًا.

(ويقول) تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢** ﴾[١٥٦٠] أى: يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله، لمَ تقولون القول الذي لا تُصَدِّقونه بالعمل؟ فأعمالكم مخالفة لأقوالكم ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٣**﴾[١٥٦١] أى: عَظُمَ بُغْضًا[١٥٦٢] وقولاً عند ربِّكمْ، قولكم ما لا تفعلون.

(وقد) قرأت حول سبب نزول هذه الآية: أن بعْضَ المسلمين قالوا: لو عرفنا أحبَّ الأعمال إلى الله لعَمِلْنا به، ولبذلنا فيه أموالَنا وأنفسنا !! فلما فرضَ الله الجهادَ عليهم كَرِهَهُ بعضُهم، وضَعُفَتْ نفوسهم عن مجابهة الأعداء .. فنزلت الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢**﴾ ؟

(وقد) ورد فى السنة الشريفة ما يُرهِّبُ من مثل هذا:

(فعن) زيد بن أرقم ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: (**اللهم إنِّى أعوذ بك من علم لا ينفع**[١٥٦٣]**، ومن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومن نفسٍ لا تشبعُ، ومن دعوة لا يُستجابُ لها**).

[رواه مسلم والترمذى والنسائى. وهو قطعة من حديث] .

(وعن) أُسَامة بن زيد ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (**يُجاءُ بالرجُلِ**[١٥٦٤] **يوم القيامة فيُلْقَى فى النار فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ**[١٥٦٥] ،

(١٥٦٠) الصف آية: ٢.

(١٥٦١) الصف آية: ٣.

(١٥٦٢) (مقتًا): المقت: أشد البغض وأفحشه.

(١٥٦٣) قال فى هامش (الترغيب والترهيب) ج١ ص١٤٢ معلقًا على هذه الجزئية: ويدخل فيه كل علم لا يزيد الإنسان معرفة بربه، ولا بأحكام دينه، ولا يقوم على أساس صحيح بل على جهالات وأوهام كعلوم الفلسفة والكلام أو يكون ضاراً مُؤذيًا ومُفضيًا إلى الشرك كعلوم السحر والتنجيم والكهانة والشعوذة والحِيَل والطلمسات، أو يكون حَشْوًا لا فائدة فيه كتفريعات الفقهاء وغرائب الأخبار.

(١٥٦٤) أى: من علماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون.

(١٥٦٥) أى: تخرج أمعاؤه من بطنه.

فيدورها[١٥٦٦] **كما يدور الحمَارُ برحَاهُ، فيجتَمعُ أهل النارِ عليه فيقولون: يا فلانُ ما شأنُكَ، ألَسْتَ كُنْتَ تأمر بالمعروف وتَنْهَى عن المنْكَر ؟ فيقول: كُنْتُ آمُرُكُم بالمعروف ولا آتيه** [١٥٦٧]**، وأنهاكُم عن الشَّرِّ وآتيه . قال: وإنى سمعتُه يقول: يعنى النبى ﷺ: (مَرَرْتُ ليلةَ أُسْرِىَ بِى بأقوامٍ تُقْرَضُ شفاهُهُم بمقاريضَ** [١٥٦٨] **من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: خُطباءُ أُمَّتك** [١٥٦٩] **الذين يقولُون ما لا يفعلُونَ)** . [رواه البخارى ومسلم واللفظ له، ورواه ابن أبى الدنيا وابن حبان والبيهقى من حديث أنس وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى رواية لهما: (ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به)] [١٥٧٠] .

(وعن) أبى بَرْزَةَ الأسلمىِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تزولُ قَدَمَا عَبْدٍ**[١٥٧١] **حتى يُسأل: عن عُمْرِه فيمَ أفناه، وعن علمه فيمَ فَعَل فيه** [١٥٧٢]**، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه).**

[رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح]

ورواه البيهقى وغيره من حديث معاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال: **(ما تزولُ قدمَا عَبْد يومَ القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عُمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيم أبلاهُ، وعن ماله من أيْنَ اكتَسَبَهُ وفيمَ أنْفَقَهُ، وعَنْ علْمه مَاذا عَمِل فيه؟)**

(وعن) لقمانَ يعنى ابن عامر قال: كان أبو الدرداء ﷺ يقول: إنما أخشى من ربى يوم القيامة أن يدعونى على رءوس الخلائق فيقول لى: يا عُوَيْمر [١٥٧٣]، فأقول: لبَّيْكَ رَبِّ، فيقول: **(ما عَملتَ فيما علمتَ)** . [رواه البيهقى]

(١٥٦٦) وفى رواية: فيدور بها.

(١٥٦٧) أى: ولا أفعله.

(١٥٦٨) جمع مقراض، وهو آلة القرض كالمنشار ونحوه.

(١٥٦٩) وفى بعض الروايات: خطباء الفتنة من أمتك.

(١٥٧٠) ولا شك أن القرآن يكون حجة على من قرأه ولم يعمل به.

(١٥٧١) أى: لا يفارق موقف القضاء والحساب يوم القيامة.

(١٥٧٢) يعنى: هل عمل بعلمه فنفعه علمه؟ أم كان ممن يقول ولا يفعل؟

(١٥٧٣) هذا اسم أبى الدرداء رضى الله عنه .

(وعن) جُندب بن عبدالله الأزدىِّ ﷺ صاحب النبىِّ ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: **(مثلُ الذى يُعلِّم الناسَ الخيرَ ويَنْسَى نَفْسهُ كَمثَلِ السِّراج، يُضىءُ للناسِ ويَحْرِقُ نَفْسَهُ)**. [الحديث رواه الطبرانى فى الكبير، وإسناده حسن]

(وعن) عمرانَ بن حُصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن أخوفَ ما أخافُ عليكم بعدى كُلُّ منافقٍ عليم اللِّسَانِ** (١٥٧٤)).

[رواه الطبرانى فى الكبير والبزار، ورواته محتج بهم فى الصحيح، ورواه أحمد من حديث عمر بن الخطاب ﷺ]

(وعن) منصور بن زَاذَانَ: نُبِّئْتُ أن بعض مَنْ يُلْقىَ فى النار يَتَأَذَّى أهلُ النار بريحه، فيُقَالُ: ويلَك (١٥٧٥) ما كنتَ تَعْملُ ؟ (١٥٧٦) ما يكفينا ما نحنُ فيه من الشَّرِّ حتى ابْتلينَا بك، وبِنَتْنِ رِيحكَ ؟ فيقول: كنتُ عالمًا فلم أنتفعْ بعلْمِي .

[رواه أحمد والبيهقى]

(ولهذا) فإننى أقول للأخ المسلم الذى شاء الله تعالى له أن يكون من علماء المسلمين ـ بفضله تعالى وتوفيقه ـ اتق الله فى نفسك، وفى علمك .. (بل) وفى كل هؤلاء الذين من المفروض عليك أن تكون قدوة صالحة لهم .. حتى يكون علمك حُجَّةً لك لا عليك .. وإلا كنت ـ والعياذ بالله ـ كهؤلاء المشار إليهم فى الآيتين الكريمتين اللتين وقفت عليهما فى أول هذا التعليق .. (وكذلك) فى بعض الأحاديث الشريفة التى وقفت عليها بعد ذلك.

(وحَسْبك) أن تعلم أنه إذا لم يكن العلم الذى تعلمتَه نافعًا، وأنه إذا لم يخرج من قلبك .. فإنه لن يصل إلى قلوب المستمعين إليك، (ولهذا) قالوا: إذا خرج الكلام من القلب وصل إلى القلب، أما إذا خرج من اللسان فإنه لا يتجاوز الآذان .. ولله دَرُّ مَنْ قال:

مواعظ الواعظ لن تُقْبَلا حتى يَعِيها قلبه أولا

(١٥٧٤) يعنى: ماهر فى تصريف القول وبارع فى إدارة فنون الكلام.

(١٥٧٥) أى: هلاكًا لك ، وقيل: هو واد فى جهنم.

(١٥٧٦) ما هنا استفهامية، يعنى: أى عمل كنت تعمله فى الدنيا أوجب لك هذه الرائحة.

يا قوم من أظلَـم مـن واعـظ ... خالف ما قد قاله فـــي المـلا
أظهر بين الخـــلق إحْسَانَـــه ... وخالف الرحمـن لَـمَّا خَـــلا

(ولهذا) أيضًا، فإننى أُزوِّدُ الأخَ العَالِمَ أو المُعلِّمَ بقصيدة لأبى الأَسْوَد الدُّؤَلِىِّ المتوفَّى سنة ٦٥ هـ، يقول فيها عليه رحمة الله:

وإذَا طَلَبْتَ إلى كريم حاجةً ... فلقاؤُه يكفيكَ والتَّسْليمُ
واتـرُكْ مُجَازاةَ السَّفيـه فإنَّها ... نَـدَمٌ وَغبٌّ بعـد ذلكَ وخيمُ
يا أيُّها الرجُـلُ المُعَلِّمُ غَيْـرَهُ ... هَلاَّ لنفسكَ كان ذا التَّعْليـمُ
تَصِفُ الدواءَ لذى السَّقَامِ وذى الضَّنا ... كَيْمَا يَصِحُّ به وأنـتَ سَقِـيمُ
ونَـراكَ تُصلحُ بالرشادِ عُقولنَا ... أبدًا وأنتَ من الرَّشَادِ عَـديمُ
ابدأ بنفسـكَ فانهَهَا عن غَيِّهَا ... فإذا انتهَتْ عنه فانـتَ حَكِيـمُ
فهُنَاكَ يُسْمَعُ مـا تقولُ ويُهْتَدَى ... بالقول منْك وينفَعُ التَّعْليـمُ
لا تَنْه عَـنْ خُلُقٍ وَتَأْتِىَ مثْلَهُ ... عَارٌ عليكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

(فإذا) كنتَ أيها الأخ العَالِم أو المُعَلِّمُ ستُنَفِّذ الخير هذا فبها ونعْمَتْ(أما) إذا كان العكس هو الصحيح .. فإنه من الخير لك ولنا أن تَسْتَحىَ من الله تبارك وتعالى الذى يقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١٥٧٧)، أى: يُخوفكم سَخَطَهُ وعِقَابَهُ .. (والله) نسأل أن يُعيننا عليك .. اللهم آمين،،

(١٠٦) لِمَاذَا أنزَلَ اللهُ المَالَ .. يَا رَسُولَ اللهِ؟

عن أبى واقد الليثى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: **(إن الله عز وجَلَّ قال: إنَّا أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحَبَّ أن**

(١٥٧٧) آل عمران: من الآية ٣٠.

يكون له ثَانٍ، ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون إليهما ثالثٌ، ولا يملأ جوف ابنِ آدمَ إلاَّ التُّرابُ، ثم يتوب الله على مَنْ تاب) .

[أخرجه الطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم فى الحلية] (١٥٧٨)

(وعنِ) أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لَوْ كانَ لابن آدمَ واديان** (١٥٧٩) **من مالٍ لَابتغَى إليهما ثالثًا، ولا يملأ جَوفَ ابنِ آدمَ إلا التراب** (١٥٨٠)، **ويتوبُ اللهُ على مَنْ تاب** (١٥٨١)**)** [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) ابن عباس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(لو أن لابن آدمَ واديًا من ذهب** (١٥٨٢) **لأحبَّ أن يكون إليه مثْلَه** (١٥٨٣)**، ولا يملأ عينَ ابنِ آدمَ إلاَّ الترابُ** (١٥٨٤)**، ويتوب اللهُ على مَن تابَ)** . [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) عباس بن سهل بن سعد رضى الله عنهم قال: سمعتُ ابنَ الزبير على منبر مكة فى خطبته يقول: يا أيها الناس: إن النبى ﷺ كان يقول: **(لو أن ابن آدم أُعطىَ واديًا من ذهب أحبَّ إليه ثانيًا، ولو أُعطىَ ثانيًا أحب إليه ثالثًا، ولا يَسُدُّ** (١٥٨٥) **جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوب اللهُ على مَن تاب)**

[رواه البخارى]

(هذا) وإذا كان لى أن أعلِّقَ إجمالاً على هذه الأحاديث الشريفة الأربعة .. (فإننى) أُريد أولاً أن أُنَبِّهَ الأخ المسلم إلى ملاحظة هَامَّة لابد أن تكون دائمًا وأبدًا نُصب عينيه .. (وهى) أن لا ينسى أنه على سَفَرٍ إلى الله تبارك وتعالى من يوم أن وُلِدَ .. كما قال لقمان الحكيم لولده: (يا بنى إنك منذ نزلتَ إلى الدنيا

(١٥٧٨) وهو فى جمع الجوامع رقم ٤٠٥ ـ ٤٨٩٠ .

(١٥٧٩) تثنية واد وهو ما بين الجبلين.

(١٥٨٠) قال القسطلانى: أى: لا يشبع من الدنيا حتى يموت.

(١٥٨١) يعنى: أن من تاب عن المعصية ورجع عنها، وبَعُد عن الشَّره المذموم وعن جمع المال وكنزه، فإن الله يقبل توبته.

(١٥٨٢) أى: واديًا مملوءًا من ذهب، وهو أنفس المعادن وأغلاها ثمناً.

(١٥٨٣) أى: لتمنى أن يُضاف إليه واد آخر.

(١٥٨٤) هذا التعبير كناية عن الموت لاستلزامه الامتلاء منه كأنه قال: لا يشبع من الدنيا حتى يموت.

(١٥٨٥) أى: يملأ.

استدبرتَها [١٥٨٦] واستقبلت الآخرة .. فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل).

(وهذا) هو ما أشار إليه القرآن فى قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [١٥٨٧]، (وهذا) معناه أن مثلنا فى هذه الدنيا كمثل الضيف الذى لابد أن يرحل .. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله الذى لابد أن نفهمه:

العُمْـرُ مثـلُ الضَّـيْفِ أو ... كالطَّيْـفِ ليـسَ لَـهُ إقَـامَهْ
وأخو الحِجَـى [١٥٨٨] فى سائر ... الأحوال مُرتَقِبٌ حِمامَـهْ [١٥٨٩]
والجـاهـلُ المغتـرَّ مَـن ... لم يجعـل التقـوى اغتنامَهْ

■ كما يقول أيضًا أحدهم:

نَزُولُ كمَا زالَ آبَـاؤنَـا ... ويبقَى الـزَّمَـانُ علـى مَا تَـرى
نَهَـارٌ يمرُّ ولَيْلٌ يَـكرُّ ... ونجم يغور ونجـم يُـرَى

■ (بل) وكما يقول أحدهم:

وَلَوْ كانتْ الدنيا تدومُ لِوَاحِـدٍ ... لكـانَ رسولُ الله فيهـا مُخَلَّدَا

(ولكن) الله تعالى قد قضى ولا راد لقضائه بأن كل شىء هالك إلا وجهه .. قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [١٥٩٠]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [١٥٩١]، وقال تعالى فى الحديث القدسى: (يا بن آدَم لا تغترَّ بشبابك، فكَمْ من شاب سبقكَ إلى الموت، يا بن آدم لا تفرح بدنياك فلستَ بمخلد، يا بن آدم استحى منى عند معصيتك، أستحى منك فلا أُعَذِّبك).

(١٥٨٦) أى: جعلتها خلفك واتجهت تلقائياً إلى الآخرة التى لابد أن تنتهى إليها إن عاجلاً وإن آجلاً.
(١٥٨٧) سورة طه: الآية ٥٥.
(١٥٨٨) أى: أخو العقل السليم.
(١٥٨٩) والحمام بكسر الحاء، أى: الموت.
(١٥٩٠) القصص من الآية ٨٨.
(١٥٩١) سورة الرحمن: ٢٦، ٢٧.

(وعلى) هذا، فإنه ينبغى على الأخ المسلم .. إذا أراد أن لا يُشغل عن الهدف الأسمى الذى من أجله خلقه الله تبارك وتعالى .. وهو أن يعبده ويوحِّده : أن لا يكون من عُبَّاد الدنيا .. بتلك الصورة المشار إليها فى الحديث الصحيح الذى ورد:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (**تَعِسَ** [١٥٩٢] **عبد الدينار وعبد الدرهم، وعبد الخَميصَة** [١٥٩٣]، **إن أُعطِىَ رَضِىَ، وإن لم يُعط سَخِط** [١٥٩٤]، **تَعِسَ وانتَكَسَ** [١٥٩٥]، **وإذا شِيك فلا انتقش** [١٥٩٦]، **طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعثَ رأسهُ، مُغبَرَّة قدماه**[١٥٩٧] ، **وإن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى السَّاقة كان فى السَّاقة** [١٥٩٨] ، **وإن استأذن لم يُؤذَنْ له، وإن شَفَع لم يُشَفَّعْ**). [رواه البخارى]

(وعن) أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**مَن أحَبَّ دنياه أضَرَّ بآخرته، ومَن أحبَّ آخرتَهُ أضَرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على مَا يفْنَى**) .

[رواه أحمد ورواته ثقات، والبزار وابن حبان فى صحيحه، والحاكم والبيهقى فى الزهد وغيره، كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبى موسى، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما].

(والمعنى) المشار إليه فى الحديث الأخير: أن مَن مال إلى الدنيا، فأحبَّها، وتعلَّق بها، وأكَبَّ على جمعها وتحصيلها (أضَرَّ) بآخرته، أى: نقص حظه منها، لأن الدنيا شغلتْه عن العمل لها ـ والعكس كذلك هو الصحيح بالنسبة لحب الآخرة ـ.

(١٥٩٢) أى: عثر وأكبَّ على وجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك والخيبة.

(١٥٩٣) ثوب خز أو صوف مُعلَّم، وقيل: ثوب أسود مُربع وجمعها خمائص.

(١٥٩٤) أى: أظهر السخط والجزع.

(١٥٩٥) قال فى النهاية: (أى انقلب على رأسه..).

(١٥٩٦) أى: إذا دخلت فى رجله شوكة فلا أُخرجت منها بالمنقاش وهو ما يُنقش به.

(١٥٩٧) وذلك لكثرة أسفاره وعدم اهتمامه بهيئته.

(١٥٩٨) الساقة جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه.

(ولهذا) فقد قال النبى صلوات الله وسلامه عليه بعد هذا: (**فآثروا ما يبقى على ما يفنى**)، أى: اختاروا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية .. فإن العاقل لابد أن يؤثر الدائم الباقى من اللذات على القليل المنقطع منها: ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ**﴾ (١٥٩٩) .

(وقد) ورد فى صحف إبراهيم وموسى أن الله تعالى قال مخاطبًا الدنيا: (يا دنيا، ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم .. إنى قذفتُ فى قلوبهم بُغضَك والصبرَ عنك.. ما خلقتُ خلقًا أهونَ علىَّ منك .. إنى قضيتُ عليك يومَ خلقتُك أن لا تدومى لأحد، ولا يدوم لك أحدٌ) .

(وإذا) كان لى بعد هذا .. أن أشيرَ إلى المعنى المراد من قول الرسول ﷺ - فى الأحاديث الأربعة -: (**ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ** ..)، فإنه صلوات الله وسلامه عليه يشير إلى داء الطمع الذى أُصيب به أكثرنا .. والذى قال عنه النبى ﷺ، مُحذِّرًا منه: (.. **وإياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر** ..) (١٦٠٠)، أى: أن المصاب بداء الطمع - والعياذ بالله - لن يشعر بالغنى أبدًا .. لأنه سيظل محتاجًا .. (وبالتالى) فإنه لن يكون شاكرًا لله تعالى على ما أعطاه، أو ما سيعطيه إياه .. لأنه ينظر إلى من فوقه فى المال .. ولا ينظر إلى من تحته فيه .. ولو فعل هذا .. لعلم أنه من كبار الأغنياء بفضل الله؛ لأن غيره قد لا يملك معشار ما يملكه هو .. (وقد) قرأت توضيحًا لهذا:

(عن) أبى عبد الرحمن الحبلى قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال: ألستُ من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبدالله: أَلَكَ امرأة تأوى إليها (١٦٠١) ؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه (١٦٠٢) ؟ قال: نعم . قال: فأنت

(١٥٩٩) سورة الأعلى: ١٦ - ١٩.

(١٦٠٠) رواه الطبرانى فى الأوسط والعسكرى عن جابر.

(١٦٠١) أى: تسكن إليها وتستمتع بها .

(١٦٠٢) وفى بعض الروايات: (تسكن إليه) أى: تأوى إليه وتقيم فيه.

(وفى) رواية لمسلم قالت: لقد مات رسول الله ﷺ، وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين [١٦١٠].

(وفى) رواية للبيهقى، قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متواليةً، ولو شئنا لشبعنا [١٦١١]، ولكنه كان يُؤْثِر على نفسه [١٦١٢].

فليكُنْ هذا، هو مفهومنا وتصرُّفنا، حتى لا نكون من أبناء الدنيا، (بل) وحتى لا نكون من المصابين بداء الطمع .. الذى لابد أن نميته فى قلوبنا .. كما فعل الإمام الشافعى رضي الله عنه الذى يقول:

أمَتُّ مطامعى فَارحتُ نفسى ... فإنَّ النفسَ ما طمعَتْ تَهُونُ
وأحيَيْتُ القُنُوعَ وكان ميْتًا ... وَفِى إحيائه عِرضِي مَصُونُ
إذَا طَمَعٌ يَحِلُّ بقلب عَبْدٍ ... عَلَتْهُ مَهَانَةٌ وَعَلاَهُ هُونُ

■ وكان رضي الله عنه ـ أيضًا ـ يقول:

أنَا إنْ عِشتُ لستُ أعدِمُ قوتًا ... أو إنْ متُّ لستُ أُحْرَمُ قَبرًا
هِمَّتِى همةُ الكِرَام ونَفْسى ... نفسُ حُرٍّ تَرَى المذلَّة كُفرًا

والله ولى التوفيق،،

(١٠٧) زَوِّدْنا ببعْض تَحْذيراتك .. يا رسولَ الله .. حتَّى نَجْتَنِبَها

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصنى؟ فقال له: **(إياكَ وكُلَّ أمر يُعتَذر منه)**

(١٦١٠) يعنى: أنه لم يأكل فى يوم واحد أكلتين مشبعتين.

(١٦١١) أى: لو أحببنا أن نشبع من الطعام لوجدنا منه ما يكفى لذلك.

(١٦١٢) يعنى: أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يبعث بفضل طعامه ـ أى: بالزائد منه ـ إلى غيره إيثارًا منه وتفضلاً.

[أخرجه ابن أبى عاصم، والضياء المقدسى فى المختارة [١٦١٣]، وهو فى الصغير برقم ٢١٨٨ الضياء المقدسى عن أنس ولم يُرْمز له بشىء، وقال المناوى فى شرحه عن أنس: قال رجل: يا رسول الله أوصنى .. فذكره، ورواه أيضًا الديلمى فى مسند الفردوس وسنده حسن]

قال: وأخرجه البخارى فى تاريخه وأحمد ، والطبرانى فى الكبير بسند جيد عن سعد بن عبادة الأنصارى وله صُحبة موقوفًا: (**انظر إلى ما يُعتذَرُ منه من القول والفعل فَاجْتَنبه**) .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك من حديث سعد، والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وجابر بلفظ: (**إياك وما يُعتذر منه**): أى: لا تَقُلْ قَوْلاً، ولا تفعل فعلاً .. إلا بعد دراسته والتفكير فيه .. وفى نتائجه .. (حتى) لا تكون النتائج عكسية لما كنت تريده، أو ترجوه .. بسبب تسرعك .. فى القول، أو فى الفعل .. ثم تراك بعد ذلك تحاول الاعتذار.. أو تبرير موقفك .. (وقد) يُقبل منك هذا الاعتذار.. وقد لا يُقبل .. لأنه سيكون قد حدث بسبب تسرعك.. ما لا يُعتذر منه (بل) ربما أدى إلى هلاك البعيد، أو وقوعه فى مُساءلة.. قد لا تنتهى مشاكلها .

(وعن) العاص بن عمرو الطُّفَاوى عن عمته، أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: أوصنى؟ فقال: (**إياكِ وما يسوءُ الأُذُنَ**).

[أخرجه أحمد،وابن منده، وأبو نعيم عن حبيب بن الحارث بن سعد، والطبرانى فى الكبير .. (والحديث) فى الصغير برقم ٢٨٨٩ عن الإمام أحمد، عن أبى الغادية، وأبو نعيم فى المعرفة عن حبيب بن الحرث، والطبرانى فى الكبير عن عمه العاص بن عمرو الطفاوى، وقال المناوى: (أبو الغادية) بغين معجمة فى خط المصنف . قال: خرجت أنا وحبيب بن الحرث وأم العلاء مهاجِرَيْنِ إلى رسول الله ﷺ فأسلمنا، فقالت المرأة: أوصنى، فذكره . وهو فى جمع الجوامع رقم ٣٧ ـ ٩٢٨٧].

(١٦١٣) والحديث فى جمع الجوامع رقم ٣٦ ـ ٩٢٨٦.

(ومعناه) العام والخاص .. أنه ينبغى على الإنسان العاقل ـ ذكَرًا كان أو أنثى ـ أن يُنَزِّه سمعه عن كل قول مُشين.. (وأعنى) بهذا أنه يتقى مجالس السوء التى لا يُذكر فيها غالبًا إلا كُلُّ قول رخيص .. حتى لا يكون قد استمع إلى ما يسوء أذنه (بل) وحتى لا يكون شريكًا لهذا المسىء فى الإثم.

(فقد) ورد فى الحديث الشريف: (**المغتابُ والمستَمِعُ شريكانِ فى الإثمِ**)، اللهم إذا استطاع بتوفيق من الله .. أن يَذُبَّ الغيبة عن أخيه.. أو أن يغير هذا المنكر.. بيده إن كان مسئولاً .. أو لسانه إذا كان عالمًا .. وإذا كان غير هذين .. فإنه ينبغى عليه أن يستنكر هذا ـ ولو بقلبه ـ وهو يقول: اللهم إن هذا عمل باطل فغيِّره .. (وعليه) أن يقوم فارًا من هذا المكان، وهو يقول الدعاء الوارد فى كفارة المجلس: (**سُبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ**) (١٦١٤).

(وعليه) أيضًا فى المقابل لهذا .. أن يُغيِّر اتجاهه، بمعنى أن يتجه إلى أماكن الخير.. ومجالس العلم النافع حتى يستمع هناك إلى ما يَسُرُّ أذنه، وقلبه .. وحتى يكون بهذا إن شاء الله تعالى من أهل الخير لا من أهل الشر.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إياكَ واللَّوَّ، فإن اللَّوَّ تفتحُ عملَ الشيطانِ**).

[أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول (والحديث) فى جمع الجوامع رقم ٤٦ ـ ٩٢٩٦]

(وقد) قال فى النهاية جـ٤ ص ٢٨٠ (إياك واللَّوَّ، فإن اللَّوَّ من الشيطان) وقال صاحب النهاية: يريد قول المتقدم على الفائت: لو كان كذا لقلت كذا وفعلت، وكذلك قول المتمنى لأن ذلك من الاعتراض على الأقدار. وقال: والأصل فى لَوْ ساكنة الواو، وهى حرف من حروف المعانى يمتنع بها الشىء لامتناع غيره، فإذا سَمى بها زِيدَ فيها واو أُخرى، ثم أُدغمتْ وشُدِّدَتْ حَملاً على نظائرها من حُروف المعانى .

(١٦١٤) وهو حديث صحيح.

وفى الجزء (١٠) من جامع الأصول لابن الأثير برقم ٧٥٧٠ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**المؤمن القوىُّ خَيْرٌ وأحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ما ينفعك واستعِنْ بالله ولا تَعْجِزْن**[١٦١٥]**، وإن أصابك شىء فلا تَقُلْ: لَوْ أنِّى فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّر اللهُ وما شاء فعل . فإن (لو) تفتحُ عمل الشيطان**).

[قال: أخرجه مسلم] [١٦١٦]

(ولهذا) فإنه ينبغى على الأخ المؤمن أن لا يمكِّنَ الشيطان من نفسه .. (بمعنى) أن يتركه يقول ما أشار إليه الحديث: (**لَوْ أنِّى فعلْتُ كذا لكانَ كذَا وكذَا ..**) لأن هذا القول سيكون معناه أن الشيطان قد فتح له بابًا قد لا يستطيع إغلاقه .. (وعليه) أن ينتصر على نفسه وعلى شياطين الإنس والجن بقوله: (**ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكُنْ**) أو بقوله: (**قدَّر الله وما شاء فعل**)، فإن هذا سيكون أفضل من (اللَّو) ..والله المستعان.

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**إياكَ والتسْويف بالتوبة، وإياكَ والغِرَّةَ بحلم الله عنك**). [أخرجه الديلمى]

(والتسويف) أى: المطل والتأخير، نهاية جـ٢ ص ٤٢٢، والغِرَّةُ بالغين: اسم من اغتر بمعنى غفل، والغارّ الغافل: يقال: فتى غِرّ وفتاة غِر لقليل الفطنة للشر . (ومعنى الحديث): تجنبوا التسويف بالتوبة، وبادروا بها قبل فوات الأوان، ولا تَغْتَرُّوا بحلم الله عليكم وأنتم مقيمون على معصيته من غير توبة: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾ [١٦١٧] .

(وهذا) معناه كذلك (وبإيجاز) أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكون حذرًا من غضب الله تعالى ..الذى يقول متحدثًا عن نفسه: ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ** ﴾ [١٦١٨] كما يقول: ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾ [١٦١٩] أى: عقوبته .. (فإذا)

(١٦١٥) (تعجزن) بكسر الجيم، وقد تُفتح.

(١٦١٦) وكذلك أخرجه أحمد وابن ماجه.

(١٦١٧) سورة البروج: ١٢.

(١٦١٨) سورة غافر: من الآية ٣.

(١٦١٩) آل عمران: من الآية ٢٨.

حدث أن استطاع الشيطان أن يوقعه فى شباكه فإنه ينبغى عليه أن يعود سَريعًا إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة الصادقة .. وهو يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الله تعالى غفور رحيم .. أحَنُّ على عبده من الوالدة على ولدها.

(وعليه) أن يحذر التسويف فى التوبة .. لأن هذا سيكون معناه أنه لا يعلم أن الموت يأتى بغتة .. (وأنه) عندما سينتهى أجله .. لن تكون هناك فرصة لهذه التوبة التى لابد أن تكون قبل الموت ـ وقبل الغرغرة ـ .. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾(١٦٢٠) . والله ولى التوفيق،،

(١٠٨) بماذا تُرغِّبُنَا .. وبماذا تُرهِّبُنَا .. إذَا أردْنَا السَّفَرَ ليلاً .. يا رسولَ الله؟

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**عليكم بالدُّلْجَة، فإن الأرضَ تُطوى بالليل**).

[رواه أبو داود(وكذلك) رواه الحاكم والبيهقى وقال شارح الجامع إسناده صحيح]

فمعنى (عليكم بالدُّلْجة)، أى: تحرَّوْا السفر أثناء الليل.. (والدلجة) بضم فسكون، وقد تُفْتح الدال، هى الاسم من الإدلاج وهو سير الليل كله، أو السير فى آخر الليل، وفى الحديث:(**استعينوا بالغُدوة والرَّوْحَة وشىء من الدلجة**)

وجملة (فإن الأرض تُطوى بالليل): تعليل للأمر بالسفر فى الدلجة لأنها أنشط للمسافر وأبعد عن حر النهار ووهج الشمس، فيخف السير ويسهل حتى كأن الأرض تُطوى للمسافر .. (وأصل) الطى ضم أجزاء الشىء بعضها إلى بعض وليس المراد هنا .. بل ذلك كناية عن سهولة السير وعدم المشقة، فيقطع

(١٦٢٠) النساء: الآية ١٧، ١٨.

المسافر من المسافة البعيدة ما لا يقطعه فى النهار .. خصوصًا آخر الليل الذى هو وقت التنزُّل الإلهى، وإفاضة الرحمة والتجليات .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تُرسلوا مواشيَكُم إذا غابتْ الشمسُ حتى تذهبَ فَحْمةُ العشاء**) [رواه مسلم وأبو داود والحاكم ولفظه: (**احبسوا صبيانكم حتى تذهب فوعة العشاء، فإنها ساعةٌ تخترق فيها الشياطين**) وقال: صحيح على شرط مسلم] (١٦٢١).

فمعنى: (**لا تُرسِلُوا مَواشِيكم**)، أى: لا تُطلقوها فى المرعى واحبسوها فى حظائرها . و(**إذا غابتْ الشمسُ**)، أى: إذا غربت وأقبل الليل بظلمته. و(**فحمة الليل**)، أى: أشد سواده، وجمعها فحام وفحوم. (**فإن الشياطين تبعث**) أى: ترسل وتطلق .. وفى رواية (تعبث)، أى تفسد وتضر ويكثر أذاها . و(**احبسُوا صبْيانكُمْ**..)، أى: امنعوهم من الخروج من البيوت بعد الغروب (**حتى تذهبَ فَوْعة العشاء**)، قال المناوى: (أى: أشد سوادها وظلمتها .. والمراد أول ساعة من الليل ..).

و(**تخترق فيها الشياطين**)، أى: تنتشر، وقيل: معناه تنتشر مع إفساد، وإنما خصَّ أول الليل لأنه أول خروجهم من الحَبْس .. فإضرارهم فيه أشد .. وخص الصبيان لأنهم لا يحترزون عن النجاسة ويغفلون عن ذكر الله كثيرًا .. والشياطين يألفون النجاسة خصوصًا إذا لم يكن ذكر .. (والمراد) بالشياطين هنا، أى: مردة الجن وعُتاتهم.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ ـ أيضًا ـ قال: قال رسول الله ﷺ:(**أقِلُّوا الخروج إذا هدَأتِ الرِّجْلُ. إن الله عز وجَلَّ يَبُثُّ فى ليله من خَلْقه ما يشاء**).

[رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه، واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم . (وكذلك) رواه الإمام أحمد رحمه الله والنسائى وقال شارح الجامع:وهو حديث صحيح] .

(١٦٢١) رواه الحاكم فى الأدب من حديث جابر وقال شارح الجامع: إسناده صحيح.

فمعنى (أقلُّوا الخروج)، أى: لا تُكثروا الخروج من منازلكم، وفى رواية: (أقل) بالإفراد .. (إذا هدأت الرِّجْل)، أى: إذا سكن الناس عن المشى فى الطريق ليلاً .. و (إن الله عز وجل يَبُثُّ) أى: يفرق وينشر [١٦٢٢](فى ليله من خلقه ما يشاء)، وفى رواية: (فإن لله عز وجل دواباً يبثُّهُنَّ فى الأرض فى تلك الساعة، فإن خرجتم حينئذ، فإما أن تؤذوهم أو يؤذوكم) . (وإنما) عبَّر بقوله: (أقلُّوا) دون (لا تخرجوا) إشارة إلى أن الخروج لما لابد منه لا حرج فيه .

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا سَافَرتُم فى الخِصْبِ، فأعطوا الإبلَ حظَّهَا من الأرض، وإذَا سافرتُم فى الجدْب، فاسرعوا عليها السير، وبادروا بها نقيهَا، وإذا عَرَّسْتُم فاجتنبوا الطريق فإنها طريق الدواب، ومأوى الهوام بالليل)**. [رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى]

فمعنى: (إذا سافرتم فى الخصْب)، أى: فى زمن جودة المرعى وكثرته. (فأعطُوا الإبلَ حظَّها) وذلك بأن تمكِّنوها من رعى النبات .. وفى رواية (حقها) بالقاف .. ومعناهما متقارب .(وإذا سافرتم فى الجدب) أى: فى زمان يُبْس الأرض وقلة المرعى، وفى رواية: (وإذا سافرتم فى السنة) وهى بالفتح الجدب والقحط. (فأسرعوا عليها السير) أى: لتقرب مدة سفرها فتصل إلى غايتها وبها قُوَّة .. ولا تُبطئُوا فى السير فيلحقها الضرر والتعب لقلة المرعى .. فتضعف من الجوع وربما توقفت عن السير .. أو قبل أن يذهب مخُّها من ضنك السير والتعب، وهذا هو معنى (نقيها) بكسر النون وسكون القاف بعدها ياء مثناة تحت .. أى: مخها، أو مخ العظم.

(والمراد) الحث على الرفق بالدواب، ومراعاة مصلحتها بتقليل السير فى الخصْب حتى تأخذ حظها من المرعى .. والإسراع فى الجدب قبل أن ينهكها الجوع. (وإذا عرَّستم) أى: إذا نزلتم آخر الليل للاستراحة (فاجتنبوا الطريق فإنها طريق الدواب، ومأوى الهوام بالليل) أى: لأن الحشرات وذوات السموم والسباع وغيرها تمشى على الطريق بالليل لتأكل ما فيها، وتلتقط ما يسقط من المارة.

(١٦٢٢) أى: فوق سطح الأرض.

وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إياكم والتعريسَ على جَوَّاد الطريق، والصلاةَ عليها، فإنها مأوى الحيَّات والسِّباع، وقضاءَ الحاجةِ عليها، فإنها الملاعنُ)**. [رواه ابن ماجه، ورواته ثقات]

فمعنى (إياكم والتعريس[١٦٢٣] على جواد الطريق) أى: احذروا النزول آخر الليل لتستريحوا على جواد الطريق أى: معظمه ووسطه، وكذلك احذروا (الصلاةَ[١٦٢٤] عليها) أى: واتخاذها أماكن للصلاة (فإنها مأوى الحيات والسباع، وقضاء الحاجة عليها) أى: التغوط فيها، وقضاء بالنصب أيضًا عطف على التعريس .. يعنى: احذروا أن تفعلوا واحدًا من هذه الأمور الثلاثة فى وسط الطريق حيث يمر الناس (فإنها الملاعن) جمع ملعنة، وهى الفعلة التى يُلعن بها فاعلها .. كأنها مظنة للعن ومحل له .. وهى أن يتغوط الإنسان على قارعة الطريق، أو ظل الشجرة، أو جانب النهر .. فإذا مر بها الناس وتلوثوا بها لعنوا فاعلها .. (هذا) بالإضافة إلى أن جواد الطريق: مأوى الحيات، والسباع .. كما أشار الحديث .

وعن أبى ثعلبة الخُشَنىِّ ﷺ قال: كان الناس إذا نزلوا تفرَّقوا فى الشِّعاب[١٦٢٥] والأودية [١٦٢٦]، فقال رسول الله ﷺ: **(إنَّ تفرُّقكم فى الشِّعاب والأوديةِ إنما ذلكُم من الشَّيْطَانِ، فلَم ينزلُوا بعد ذلك منزلاً إلا انضَمَّ بعضهُم إلى بَعْضٍ)**. [رواه أبو داود والنسائى]

فمعنى: (كان الناس إذا نزلوا) أى: حَطُّوا رحالهم أثناء السفر فى أحد المنازل للنوم والاستراحة .. (تفرَّقوا فى الشِّعَاب والأودية) فقال رسول الله ﷺ: **(إنَّ تفرُّقكم فى الشِّعَاب والأوديةِ، إنما ذلكُم من الشَّيْطانِ)** وذلك لأن الشيطان هو الذى يُزين لهم التباعد وانفراد بعضهم عن بعض حتى يُضعف الروابط

(١٦٢٣) التعريس: هو نزول المسافر آخر الليل ليستريح.

(١٦٢٤) وهى بالنصب عطف على التعريس.

(١٦٢٥) جمع شِعْب بكسر فسكون، وهو الطريق فى الجبل.

(١٦٢٦) جمع وادٍ، وهو المنخفض بين جبلين.

بينهم، ويحملهم على الأثرة واشتغال كل منهم بنفسه (فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلاَّ انضم بعضهم إلى بعض) أى: تقاربوا فى المكان وتجمعوا فى جهة واحدة .

هذا مع ملاحظة أنه من السنة ـ بل من الواجب علينا ـ أن نُعينَ الرفيق فى السفر.

فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: بينما نحن فى سفر إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: (**مَنْ كانَ معه فَضْلُ ظَهْرٍ** (١٦٢٧) **فَلْيعُدْ به على مَنْ لا ظَهْر له، ومَنْ كان له فَضْل زاد فَلْيعُدْ بِهِ علىَ مَنْ لا زادَ له**) فذكر من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا أنه لا حَقَّ لأحدٍ منَّا فى فضل . [رواه مسلم]

وأنه من السنة، إذا ركب المسافر دابته أن يدعو بأدعية السفر التى منها، ما ورد:

عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كَبَّر ثلاثًا، ثم قال: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** (١٦٢٨) **وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ**﴾(١٦٢٩) **اللهم إنَّا نسألُكَ فى سَفرِنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العملِ ما ترضى، اللهم هَوِّن علينا سفرنا هذا وَاطْوِ عنَّا بُعده، اللهم أنت الصاحبُ فى السفر والخليفةُ فى الأهْل، اللهم إنِّى أعوذ بك من وَعْثاء**(١٦٣٠) **السفر وكآبة** (١٦٣١) **المنظر وسُوء المنقلب** (١٦٣٢) **فى المال**

(١٦٢٧) فإن المعنى: أنه من كان عنده ناقة زائدة عن حاجته فليعطها لمن هو فى حاجة إليها، حتى يستعملها فى ركوبه، ومن كان عنده طعام زائد عن حاجته، فليعطه لمن هو فى حاجة إليه من الفقراء والمساكين. (فالفضل) أى الزائد . . والله أعلم.

(١٦٢٨) مقرنين، أى: مطيقين.

(١٦٢٩) الزخرف من الآية ١٣، ١٤.

(١٦٣٠) الوعثاء بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد، هى الشدة.

(١٦٣١) والكآبة بالمد هى: تغيُّر النفس من حزن ونحوه.

(١٦٣٢) والمنقلب: المرجع.

والأهل والولد) وإذا رجع قالهُنَّ وزاد فيهنَّ: **(آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون)**. [رواه مسلم]

والله ولى التوفيق .. والحافظ فى الغُدُوِّ والرِّحال.

(١٠٩) أىُّ المسلمينَ أفضَلُ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى موسى ﷺ قال: قلتُ يا رسول الله: أىُّ المسلمين أفضل؟ قال: **(مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده)**. [رواه البخارى ومسلم والنسائى]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(المسلم مَن سَلِم المسلمُونَ من لسانه ويده ، والمهاجِرُ مَن هَجر ما نهى اللهُ عنه)**.

[رواه البخارى ومسلم]

ففى هذين الحديثين الشريفين الصحيحين يشير النبى ﷺ إلى أهم الأساسيات التى لا يتحقق الإسلام ولا يتأكَّد إلا بها .. وهى:

أولاً: أن يَسْلَم المسلمون من لسانك ويدك ..وذلك بمعنى أن تحفظ لسانك ويدك من التعرض بالأذى للمسلمين .. فلا تغتاب أحدًا، ولا تمشى بنميمة، ولا تشهد زورًا، ولا تسب أحدًا، ولا تضرب بيدك إنسانًا، ولا تسرق بها مالاً، ولا تُشير بها إلى أحد استهزاءً .. الخ .

(ويوم) أن يتحقق هذا .. فإن هذا سيكون معناه أن هذا المسلم .. سيكون قد تعاون مع إخوانه المسلمين على تحقيق سلامة المجتمع من مظاهر الاعتداء، وأنواع الشر والإيذاء التى من شأنها أن تجعل الأفراد مُهدَّدين وغير مطمئنين على نفس ولا على مال .. ولا عِرض .

وقد ورد الترهيب من فعل كل هذا:

فعن أبى سعيد الخدرىِّ ﷺ رفعه قال:**(إذا أصبحَ ابنُ آدمَ، فإن الأعضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللسَانَ، فتقول: اتق اللهَ فينا، فإنما نحن بك، فإنِ استقمتَ**

استقمْنَا، وإنِ اعوجَجْتَ اعوجَجْنَا).

[رواه الترمذى وابن أبى الدنيا وغيرهما، وقال الترمذى: رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه قال: وهو أصح]

وكَأنَّ الأعضاءَ تقول للسان: أنت المُعبِّر عنا .. وأنت رائدنا .. فإما أن تقودنا إلى النجاة، وإمَّا أن تُوقعنا فى الهَلَكَة .. والعياذ بالله .

وعن أبى وائل عن عبدالله ﷺ أنه ارتقى الصَّفَا (١٦٣٣)، فأخذ بلسانه، فقال: يا لسانُ قُلْ خيرًا تغنم (١٦٣٤)، واسكُتْ عن شرٍّ تَسْلَم (١٦٣٥) من قبل أن تندم(١٦٣٦)، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(أكثرُ خطأ ابنِ آدمَ فى لِسَانه)**.

[رواه الطبرانى، ورواته رواة الصحيح، وأبو الشيخ فى الثواب والبيهقى بإسناد حسن]

وفى حديث رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .. وقال عنه الترمذى أنه حديث حسن صحيح .. يقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ بعد أن أخبره بالأعمال التى إن عملها كان من أهل الجنة، لا من أهل النار: **(.. ألا أُخبرك بمِلاك (١٦٣٧) ذلك كُلِّه؟ قلت: بلى يا رسول الله . قال: كُفَّ عليك هذا، وأشار إلى لسانه ـ أى: يقول معاذ ـ قلت: يا نبى الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثَكلَتْك أمُّك (١٦٣٨)، وهل يَكُبُّ الناسَ فى النار على وجوههم ـ أو قال: على مناخِرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم)** .

كما ورد النهى عن ترويع المسلم .. والإشارة إليه بسلاح ونحوه جَادًا

(١٦٣٣) أى: صعد على جبل الصفا.

(١٦٣٤) أى: تظفر بأجر ذلك وثوابه.

(١٦٣٥) أى: تنج من العذاب والمؤاخذة.

(١٦٣٦) ولا ينفع الندم.

(١٦٣٧) الملاك بكسر الميم وفتحها لغة أى: بما به يملك الإنسان ذلك كله بحيث يسهل عليه جميع ما ذكر.

(١٦٣٨) أى: فقدتك . . وهذه مداعبة من النبى ﷺ لمعاذ بن جبل ـ على عادة العرب ـ وليست دعاء عليه . . وكأنه صلوات الله وسلامه عليه يريد أن يقول لمعاذ: انتبه يا معاذ . . وافهم ما يقال حتى تنفذ المراد منه.

أو مازحًا، (فعن) عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حَبْل معه فأخذه [١٦٣٩]، فَفَزِعَ [١٦٤٠]، فقال رسول الله ﷺ: **(لاَ يحِلُّ لمسلمٍ أنْ يُروِّعَ مُسلمًا)** [١٦٤١] [رواه أبو داود]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **(لا يُشيرُ أحدكُم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لَعَلَّ الشيطانَ يَنْزِعُ [١٦٤٢] فى يده، فيقعَ فى حُفْرةٍ من النارِ)**. [رواه البخارى ومسلم]

وعنه رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ:

(مَن أشار إلى أخيه بحديدة [١٦٤٣]، فإنَّ الملائكةَ تلعنُه [١٦٤٤] حتَّى ينتهِىَ، وإنْ كانَ أخَاهُ لأبيهِ وأُمِّه [١٦٤٥]) [رواه مسلم]

وثانيًا: فإن المهاجر المشار إليه فى الحديث الثانى ـ موضوع الفتوى ـ هُو مَن هجر ما نهى الله تعالى عنه .. (بمعنى) أن يترك كل ما تدعو إليه النفس الأمَّارة بالسوء .. والشيطان .. وكل المغريات الدنيوية التى يزينها لأهل الأهواء شياطين الإنس والجن .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿.. **شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ..**﴾ [١٦٤٦].

وقد يكون من السَّهل جداً أن يتغلَّبَ المؤمنُ على شياطين الجن .. وذلك بالاستعانة بالله عليهم بقراءة آية الكرسى، أو المعوذتين [١٦٤٧] .. إلى غير ذلك من الآيات القرآنية .. وغيرهما من التعاويذ النبوية التى منها: (أعوذ بكلمات الله

(١٦٣٩) يعنى: أخذ منه الحبل خفية.

(١٦٤٠) أى: قام من نومه مُرتاعًا.

(١٦٤١) أى: يخيفه ويفزعه .. وقوله (لا يحل) يفيد أنه حرام.

(١٦٤٢) ينزع بكسر الراء: أى يرمى.. وأصل النزع: الطعن والفساد.

(١٦٤٣) أى: بقطعة أو بعضًا من الحديد على جهة التهديد.

(١٦٤٤) أى: تدعو عليه باللعنة لترويعه المسلم.

(١٦٤٥) أى: وإن كان شقيقًا له فلا يجوز له أن يروعه.

(١٦٤٦) الأنعام: من الآية ١١٢.

(١٦٤٧) أو بقراءتهما معًا.

التامَّة من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة)، (أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شر ما خلق) .

أما بالنسبة لشياطين الإنس فإنهم يتطلبون قوة إيمانية .. بالإضافة إلى الاستعانة بالله تعالى عليهم .. وذلك بالإكثار بصفة خاصة من ذكر الله تعالى الذى يقول: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (١٦٤٨) وهذا معناه كذلك أن ذكر الله تعالى سيكون حصانة له من جميع شياطين الإنس والجن، بل وسيكون سببًا فى الصلة الوثيقة التى ستكون بينه وبين الله تعالى الذى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (١٦٤٩).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يفهما المراد من كل هذا التذكير، وينفذاه حتى يكونا إن شاء الله تعالى من المسلمين حقًا .. بل وحتى يكونا من المشار إليهم فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٦٥٠).

وعليهما كذلك أن يهجرا كذلك جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن .. حتى يكونا إن شاء الله من أهل السلامة فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق،،

(١١٠) ما هى الحَسنةُ التى سيفوزُ بهَا الرجلُ الذى سَيَسْتَخلصُه اللهُ تعالَى على رُءوسِ الخَلائقِ يوْمَ القيامةِ .. يا رسولَ الله؟

عن ابن عمرو بن العاص ﷺ أن النبى ﷺ قال: (إن الله عز وجل يَسْتَخْلِصُ رجلاً من أُمَّتِي على رُءوسِ الخلائقِ يَوْمَ القيامةِ ، فيُنْشَر لَهُ تسعةٌ

(١٦٤٨) الزخرف: ٣٦.
(١٦٤٩) البقرة: من الآية ١٥٢.
(١٦٥٠) الأحزاب: ٣٥.

وتسعونَ سجلاً [١٦٥١]، كل سجل مَدَّ البصَر، فيقول: أتُنْكِرُ من هذا شيئًا ؟ فيقول: لا يارب . فيقول: أظلمَكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا يارب . فيقول: أفَلَك عُذْرٌ أو حسَنَةٌ ؟ فيقول: لا يارب. فيقول الله عز وجل: بَلَى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظُلْم عليك اليومَ: فيُخرجُ له بطاقة فيها: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسول الله . فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لن تُظلم، فتوضع السجلات فى كَفَّة، والبطاقة فى كَفَّة. فطاشت [١٦٥٢] السِّجلات وثَقُلَتْ البطاقة. ولا يثقل مع اسم الله تعالى شىء).

[أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال: حسن غريب. والبيهقى والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى ملاحظة هامة ينبغى أن لا تغيبَ أبدًا عن قلوبنا .. وهى أنه لن يكون هناك ظلم أبدًا فى يوم القيامة .. (وذلك) لأن الله تعالى يقول:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [١٦٥٣]، ويقول: **﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾** [١٦٥٤] ويقول: **﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾** [١٦٥٥].

(مع ملاحظة): أن الميزان المشار إليه .. ذو كفَّتين ولسان ـ كالميزان المعهود ـ وأنه ستُوزَن فيه أعمال مَن يحاسَبُ بقدرة الله تعالى دفعة واحدة . (والصِّنَج) مثاقيل الذَّرِّ والخردَل: تحقيقًا لإظهار تمام عدل الله تبارك وتعالى الذى حَرَّم

(١٦٥١) السجلات جمع سجل . وهو الكتاب الكبير . والبطاقة: رقعة صغيرة يثبت فيها ما يحصل.

(١٦٥٢) طاشت: أى خَفَّت.

(١٦٥٣) الأنبياء: ٤٧.

(١٦٥٤) الأعراف: ٨، ٩ .

(١٦٥٥) القارعة: ٦ ـ ١١.

الظلم على نفسه وجعله بيننا محرمًا .. (ففى) الحديث القدسى الصحيح [١٦٥٦] يقول تبارك وتعالى: (**يا عبادى، إنى حَرَّمتُ الظلمَ على نفسى وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا فلا تَظَالموا** ..) وهذا معناه أن الظلم مستحيل فى حق الله تعالى، لأن الظلم معناه مجاوزة الحد والتصرف فى ملك الغير، وهما جميعًا محال فى حق الله تعالى ..(ولهذا) فقد قال الله تعالى للرجل الذى استخلصه ـ كما جاء فى نص الحديث ـ: (وإنه لا ظلم عليك اليوم)

(وهذا) معناه كذلك أنه لن يضيع حَقٌّ لأى مخلوق فى هذا اليوم الآخر الذى هو يوم المحاسَبة .. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (**مَن كانت عنده مَظْلمةٌ لأخيه من عرضه أو من شىء فلْيتحَلَّلْه منه اليومَ قبل أنْ لا يكونَ دينارٌ ولا درْهمٌ، إنْ كان له عملٌ صالحٌ أُخذ منه بقدر مَظلمته، وإن لم يكُنْ له حسناتٌ أُخذَ من سيئات صاحبه فَحُمل عليه**). [رواه البخارى]

هذا، وإذا كان موضوع الحديث الذى ندور حوله .. **هو** (الحسنة) التى كانت سببًا فى أن البطاقة قد ثقلت ـ فى الميزان ـ بعد أن طاشت السجلات .. (وأن) الحسنة هى: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .. فإنه حسبنا أن نعلم أن هذه الحسنة، هى (الركن الأول) من أركان الإسلام .. كما أجاب النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عندما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام، فقال: (**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاةَ، وتُؤتِىَ الزكاةَ، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيتَ، إن استطعتَ إليه سبيلاً..**) .

(وعن) عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**بُنى الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجِّ البيت** [١٦٥٧]، **وصوم رمضان**).

[رواه البخارى ومسلم]

(١٦٥٦) رواه مسلم.

(١٦٥٧) وقد جاء فى رواية أخرى تقديم الصوم على الحج .. وقد قدم الحج فى تلك الرواية المذكورة على الصوم من باب الترتيب فى الذكر دون الحكم؛ لأن صوم رمضان وجب قبل الحج.

وإذا كان معنى: (أشهد أن لا إله إلا الله)، هو: أُقر وأعترف عن علم وإذعان بأنه لا معبود بحق إلا الله، فإنه ينبغى على المسلم أن يكون منفذًا لهذا المعنى .. بمعنى أن يعبد الله تعالى وحده عبادة خالصة لوجهه سبحانه وتعالى .. لأنه لا معبود بحق إلا الله .. وهذا هو معنى كلمة التوحيد .. وهى: (لا إله إلا الله) التى لابد أن تكون مُؤكَّدة فى جميع عباداتنا ومعاملاتنا، (حتى) نعبد الله تعالى .. كأننا نراه .. بتلك الصورة الإيمانية التى لابد أن تكون واضحة فى جميع ميادين أعمالنا:وفى بيوتنا، ومع زوجاتنا، وأبنائنا، وجيراننا .. بل وزملائنا .. والتى تفيد بأننا نخشى الله تعالى ونتقيه.

وإذا كان معنى: (وأشهد أن محمدًا رسول الله) هو: أُقر وأعترف عن علم وإذعان أن محمدًا مُرسل من ربه بالحق، وأن كل ما بلَّغ عن ربه حق وصدق .. فإنه ينبغى على المسلم ـ كذلك ـ أن يكون مُنَفِّذًا لهذا المعنى .. بمعنى أن يكون منفذًا للمراد من قول الله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[١٦٥٨]، وأن يكون أيضًا فى نفس الوقت مُتَّبعًا له صلوات الله وسلامه عليه حتى يكون بهذا أيضًا مؤكِّدًا لحبه لله تعالى [١٦٥٩] الذى يقول: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [١٦٦٠] ويقول: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾ [١٦٦١] ويقول: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [١٦٦٢].

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**كُلُّ أُمَّتِى يدخلون الجنةَ إلا مَن أَبَى**) قيل: ومَن يأبى يا رسول الله؟ قال: (**مَن أطاعنى دخل الجنةَ ، ومَنْ عصانى فقد أَبَى**). [رواه البخارى]

(١٦٥٨) الحشر: من الآية ٧ .

(١٦٥٩) بل وحبه لرسول الله ﷺ .

(١٦٦٠) آل عمران: من الآية ٣١.

(١٦٦١) الأحزاب: من الآية ٢١.

(١٦٦٢) النساء: الآية ٦٥.

ولابُدَّ أيضًا ـ فى نفس الوقت ـ أن يكون مُنفذًا لجميع أركان الإسلام ـ بالإضافة إلى الركن الأول ـ بمعنى: أن يقيمَ الصلاة، أى: يؤديها فى أوقاتها بكامل هيئتها وخشوعها وطمأنينتها.. (وأن) يؤدى الزكاة، وهى مال مخصوص يُؤخَذ من مال مخصوص إذا بلغ قدرًا مخصوصًا [١٦٦٣] .. وبدون مَنٍّ أو أذى، كما يشير إلى هذا نهى الله تعالى فى قوله: ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ**﴾[١٦٦٤] (وأن) يصوم شهر رمضان الذى كتب الله علينا صيامه، كما كتبه على الذين من قبلنا .. بمعنى أن يمسك عن شهوتى البطن والفرج يومًا كاملاً من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

(وأن) يؤدى فريضة الحج متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو عبادة ذات إحرام، وطواف بالبيت سبعًا، وسعيٍ بين الصفا والمروة سبعًا، ووقوف بعرفة جزءً من ليلة النحر .

(فهذه) الأركان الخمسة هى الإسلام فى جملته[١٦٦٥] وما سواها من الأعمال المتعلقة بالأبدان والأموال تابعة لها .. فمَنْ قدر على أداء هذه الأركان الخمسة سَهُل عليه أن يؤدِّىَ ما سواها من أعمال البر .. (ومن) أخلَّ بركن من هذه الأركان فقد أخلَّ بالإسلام، وأتى على بنيانه من القواعد، فالإسلام يشبه بيتًا له دعائم أو أعمدة، لا يُستَغْنَى عن واحدة منها، فإذا سقطت دعامة انهار البناء وخَرَّ السقف من فوقه على مَن تحته .. اهـ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل هذه (الحسنة) التى هى الأساس فى هذا الموضوع .. (بل) وحتى يكونا إن شاء الله تعالى بتنفيذهما لبقية أركان الإسلام من المسلمين حقًا .. والله ولى التوفيق،،

(١٦٦٣) ويستطيع الأخ القارئ أن يعود إلى تلك الأحكام المتعلقة بالزكاة وأخ .. إلى آخر العبادات فى كتب الفقه ليقف عليها بالتفصيل.

(١٦٦٤) سورة البقرة آية: ٢٦٤.

(١٦٦٥) كما جاء فى الجزء الأول (من الفقه الواضح) ص ٩ ـ ١١.

(١١١) أخْبرنا يا رسُولَ الله بالدُّعاء الذى إذَا تضرَّعْنَا إلى الله تعالَى به .. كانَ الفرجُ مُحقَّقاً إنْ شاءَ اللهُ

عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:

(ألا أُخبركُم بشىء، إذا نزل برجُلٍ منكم كَرب أو بلاءٌ من أمر الدنيا دعا به يُفَرَّجُ عنه؟ دُعاء ذِى النون: لاَ إله إلا أنتَ سُبْحانك إنِّى كنتُ من الظالمين).

[أخرجه ابن أبى الدنيا فى الفرج، والحاكم فى المستدرك، وابن عساكر] (١٦٦٦)

ففى هذا الحديث الشريف يُذَكرنا النبى ﷺ بدعاء من أعظم الأدعية القرآنية التى ينبغى علينا نحن المؤمنين الصادقين ـ إن شاء الله ـ أن نتضرع إلى الله تعالى به كلما كان هناك ضيق أو كرب .. ألا وهو دعاء سيدنا يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت.

(ولهذا) فإننى أرى ـ وقبل أن أدور حول هذا الدعاء ـ أن أُذَكِّر الأخ القارئ بخلاصة ينبغى عليه أن يعرفها عن (ذى النون) وهو سيدنا يونس عليه السلام .. (وهى) أنه عليه السلام كان قد أُرسل إلى قومه (فى نينوى) لكى يدعوهم إلى عبادة الله وحده .. وأن لا يعبدوا الأصنام .. ولكنهم لم يستجيبوا له .. وإنما أعرضوا عنه وقالوا له: ما أنت إلا بشر مثلنا وواحد منا .. فما كان منه إلا أنذرهم بعذاب واقع، وبلاء نازل، وهلاك قريب.

فقالوا له: ما نحن بمستجيبين لدعوتك، ولا خائفين من وعيدك،فأتنا بما تعدنا إن كنتَ من الصادقين ..فما كان منه بعد أن ضاق بهم ذرعًا .. إلا أن رحل عنهم مغاضبًا لهم، يائسًا من إيمانهم .. فماذا حدث منه بعد أن فارقهم .. إنه

(١٦٦٦) الحديث فى المستدرك جـ١ ص ٥٠٥ أورده الحاكم وسكت عنه الذهبى، وفى رواية الحاكم بعض زيادة لا تؤثر فى المعنى . والحديث فى الصغير برقم ٢٧٦١ برواية ابن أبى الدنيا فى الفرج (ك) عن سعد ورمز له بالصحة.

باختصار ذهب إلى البحر .. فوجد هناك قومًا أو جماعة يستعدون للعبور بواسطة سفينة .. فطلب منهم أن يصحبوه معهم .. ويحملوه فى سفينتهم .. فرحبوا به ولا سيما عندما لمسوا الصلاح على وجهه.

ثم حدث بعد ذلك، وبعد أن أقلعت السفينة أن هاجت الأمواج .. وهاجمت السفينة الأعاصير التى كادت أن تُغرقها .. ففكر من فيها فى حَلٍّ ينقذهم جميعًا من هذا الهلاك الذى أوشك أن يكون حقيقة .. فاتفقوا على أن يلقوا بأحدهم فى البحر حتى يخف الحمل .. ولكى يفعلوا هذا بدون ظلم لهذا الذى سيُلْقى به استهموا - أى: اقترعوا - فوقع السهم أكثر من مرة على سيدنا يونس، فاستسلم لقضاء الله، ثم أُلقى به فى اليم.

(وكان) الله سبحانه وتعالى قد أمر الحوت بأن يتحرك ويسير بجوار السفينة .. حتى إذا أُلقى بيونس .. التقمه برفق .. وكان الله تعالى قد أوصاه كذلك بأن يبتلعه برفق .. وألا يستعمل معه أسنانه .. وكان الحوتُ فعلاً نِعْم المكلَّف .. (ولهذا) فقد ابتلعه برفق ثم غاص به فى أعماق البحر .. وكان يطفو به بعد ذلك فوق سطح الماء ثم يغوص وسيدنا يونس فى كل أحيانه يسبِّح الله.

وإلى هذا يشير الله تعالى فى قوله: ﴿ **فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾[١٦٦٧].. ويظل فى بطن الحوت يسبح الله على هذا النحو الذى أشارت الآية إليه .. إلى أن يُلهمه الله بكلمات قالهن كانت سببًا فى نجاته .. بل ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين فى التضرع إلى الله بهذا الدعاء[١٦٦٨].

وإلى هذا يشير الله تعالى فى قوله: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا**﴾[١٦٦٩] أى: واذكُر صاحب الحوت - يونس بن متَّى - حين ذهب مغاضبًا لربه[١٦٧٠] ﴿ **فَظَنَّ**

(١٦٦٧) الصافات: ١٤٣، ١٤٤.

(١٦٦٨) وهو موضوع الفتوى الذى ندور حوله.

(١٦٦٩) الأنبياء: ٨٧.

(١٦٧٠) ما ذهب إليه ابن جرير أن يونس ذهب مغاضبًا لربه قول مرجوح، والصحيح أنه ذهب مغاضبًا لقومه لا لربه، وهو قول ابن عباس والضحاك.. وهذا هو الصحيح المعتمد.

﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أى: فظنَّ يونس أن لن نحبسه، ونُضيِّق عليه [١٦٧١] عقوبةً له ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أى: فنادى يونس وهو فى ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ﴾ أى: نادى بهذا القول، معترفًا بذنبه، تائبًا من خطيئته ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . أى: فى معصيتى لك ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾، أى: فاستجبنا ليونس دعاءه، ونجَّيناه من غم الحبس فى بطن الحوت ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٦٧٢] أى: وكما أنجينا يونس من الكرب، كذلك ننجى المؤمنين إذا استغاثوا بنا ودعونا ـ بهذا الدعاء أو بمثل هذا الدعاء.

(وبعد) أن استجاب الله الدعاء من يونس .. أوحى إلى الحوت فى الماء: أن ألق بضيفك فى العراء .. فألقاه على الشاطئ سقيمًا هزيلاً .. فأنبت الله عليه شجرة من يقطين [١٦٧٣] .. لكى يستظل بأوراقها، ويأكل من ثمارها .. إلى أن تعود إليه صحته .. ويستطيع أن يعود إلى استئناف رسالته بين قومه الذين كان ينبغى عليه أن لا يفارقهم إلا بأمر من الله .. (وكان) الله تعالى قد كاد أن يُهلكَ قومَه .. ولكنهم تضرعوا إلى الله تعالى وهم يبكون .. أن يُعيدَ إليهم نبيهم (يونس)، لأنه كانت قد اقتربت منهم طلائع الهلاك .. فَقَبِلَ الله تعالى توبتهم.

(ثم) حدث بعد ذلك، وبعد أن استوى يونس على سوقه، ورجع إلى سابق عهده .. أن أوحى الله إليه أن ارجع إلى بلدك، وموطن آصرتك وعشيرتك، فإنهم آمنوا فنفعهم الإيمان، ونبذوا الأصنام والأوثان .. وإنهم الآن يتحسسون مكانك، ويترقبون مجيئك .. (وفعلاً) فقد عاد يونس إلى قريته .. فوجدهم قد تغيَّرت أحوالهم .. وأصبحوا مؤمنين بعد أن كانوا كافرين .. فكان أن عاش بينهم بعد ذلك نبيًا ورسولاً، ومعلمًا وإمامًا .. (فعلينا) جميعًا أن نستفيد من هذا الدرس الذى استفاد منه حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. الذى قال الله

(١٦٧١) هذا هو الصحيح فى معنى قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] أى: ظن أن لن نضيق عليه، فهو كما قال ابن عباس: من القدر لا من القُدرة.

(١٦٧٢) الأنبياء: ٨٧، ٨٨. والتفسير من مختصر تفسير الطبرى مع الهامش بتصرف يسير.

(١٦٧٣) وهى شجرة القرع.

تعالى مخاطبًا إياه: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [١٦٧٤].

(فليكُنْ) هذا هو مفهومنا عن قصة هذا الدعاء القرآنى العظيم .. الذى أرجو أن ننتفع به كما انتفع سيدنا يونس عليه السلام، وكما انتفع حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. وعباد الله الصالحين .. (ولاسيَّما) عند الشدائد والكُروب .. بالإضافة إلى الأدعية الأخرى التى منها الدعاء الذى أوصى به النبى ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وهو:

(قل: اللهم إنِّى ظلمتُ نفسى ظلمًا كثيرًا) وفى رواية: **(كبيرًا، ولا يغفر الذنوبَ إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم** [١٦٧٥]**)**.

والتى منها ما ورد: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ:

(اللهم إنِّى أسألُكَ موجبات رحمتك، وعزائمَ مغفرتك، والسلامةَ من كل إثم، والغنيمةَ من كل بِر، والفوزَ بالجنة، والنجاة من النارِ) [١٦٧٦]. اللهم آمين،،

(١١٢) ما هُوَ العملُ الصَّالحُ الذى يَعْدِلُ حَجَّةً معك .. يا رسولَ الله؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد رسول الله ﷺ الحجَّ، فقالت امرأةٌ لزوجها: أَحْجِجْنِى [١٦٧٧] مع رسول الله ﷺ، فقال: ما عندى ما أُحَجِّجُك عليه [١٦٧٨]، فقالت: أَحْجِجْنِى على جملِكَ فُلان [١٦٧٩]؟ قال: ذاك حَبِيسٌ فى سبيل الله عز

(١٦٧٤) القلم: من الآية ٤٨. (فصبر) حتى أُذِن له بالهجرة.

(١٦٧٥) متفق عليه.

(١٦٧٦) رواه الحاكم أبو عبدالله وقال: حديث صحيح على شرط مسلم.

(١٦٧٧) وفى رواية (حَجِّجْنى) بتشديد الجيم أى: هيئ لى راحلة أحج عليها.

(١٦٧٨) أى: ليس عندى من المراكب ما أحملك عليه.

(١٦٧٩) أى: جملك المسمى بكذا وعيَّنته له.

وجلَّ [١٦٨٠]، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إن امرأتى تقرأ عليك السلامَ ورحمةَ الله، وإنَّها سألتنى الحجَّ معك [١٦٨١]، فقلتُ: ما عندى ما أُحَجِّجُك عليه . قالت: أحْجِجْنى على جملكَ فلان، فقلتُ: ذاك حبيس فى سبيل الله عز وجل. فقال: (**أما إنك لو أحْجَجْتَهَا عليه كان فى سبيل الله** [١٦٨٢]) قال: وإنها أمرتْنى أنْ أسألكَ ما يَعْدلُ حَجَّةً معك [١٦٨٣] ؟ قال رسول الله ﷺ: (**أقرئُها السلامَ ورحمةَ الله وبركاته، وأخبرها أنها تعدل حَجَّةً، معى عمرةٌ فى رمضان**) [١٦٨٤] .

[رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه كلاهما بالقصة، واللفظ لأبى داود، وآخره عندهما سواء]

ورواه البخارى والنسائى وابن ماجه مختصرًا: (**عُمرةٌ فى رمضانَ تعدلُ حَجَّةً**) [١٦٨٥]. ومسلم ولفظه قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار، يقال لها أُمُّ سنان [١٦٨٦]: (**ما منعك أن تَحُجِّى معنا** ؟) [١٦٨٧] قالت: لم يكن لنا إلاَّ ناضحَانِ [١٦٨٨] فحجَّ أبو ولدها وابنُها على ناضح [١٦٨٩]، وترك لنا ناضحًا نَنْضح عليه. قال (فإذا جاء رمضانُ فاعتَمرى [١٦٩٠]، فإن عُمرةً فى رمضانَ تعدل حَجَّةً) [١٦٩١] وفى رواية له: (تعدل حَجَّة، أو حجَّةً معى) [١٦٩٢] .

(١٦٨٠) أى: موقوف للجهاد عليه وفى سبيل الله فلا يجوز استعماله فيما عداه.

(١٦٨١) أى: طلبت منى أن أُيَسِّر لها الخروج للحج معك لتشهد أعظم حجة وقعت فى تاريخ هذا البيت.

(١٦٨٢) فإن الحج أخو الجهاد وكلاهما طاعة لله عز وجل.

(١٦٨٣) يعنى: أى شىء يساوى شهود الحج معك.

(١٦٨٤) يعنى: أنها إذا اعتمرت فى رمضان كانت عمرتها مساوية فى الثواب لحجة تشهدها مع رسول الله ﷺ .

(١٦٨٥) وقد أطلق الحجة هنا ولم يقيدها بكونها مع رسول الله ﷺ ، حتى يظل باب الخير مفتوحًا إلى قيام الساعة .

(١٦٨٦) وكان زوجها أبو سنان الأسدى أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة.

(١٦٨٧) لأنه فى هذه الحجة العظيمة خرج عامة المسلمين رجالاً ونساء ولم يتخلف عنها إلا من حبسه عذر شديد.

(١٦٨٨) تثنية ناضح وهو الجمل الذى يُستقى عليه .

(١٦٨٩) أى: حج أبو سنان وابنه سنان على أحد الناضحين.

(١٦٩٠) أى: اذهبى لأداء عمرة فيه.

(١٦٩١) وجاءت هذه الرواية عند مسلم مطلقة كذلك من غير تقييد .

(١٦٩٢) والكلام هنا على الشك من الراوى.

وعنه ﷺ قال: جاءت أُم سُلَيْم[١٦٩٣] إلى رسول الله ﷺ فقالت: حَجَّ أبو طلحة وابنه وتركَانى[١٦٩٤] ؟ فقال: **(يا أُمَّ سُلَيْم، عُمرةٌ فى رمضانَ تَعدل حَجَّةً مَعِى)**[١٦٩٥] . [رواه ابن حبان فى صحيحه]

ففى كُل هذه الأحاديث الشريفة ـ بالإضافة إلى غيرها ـ كما يقول الإمام الشوكانى عليه رحمة الله: (دليل على أن العمرة فى رمضان تعدل حَجَّة فى الثواب ، لا أنها تقوم مقامها فى إسقاط الفرض ، للإجماع على أن الاعتمار لا يُجزئ عن حج الفرض) . (ونقل) الترمذى عن إسحاق بن راهويه أن معنى هذه الأحاديث: نظير ما جاء أن قل هو الله أحد تعدل ثُلُثَ القرآن .

(وقال) ابن العربى: حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها . (وقال) ابن الجوزى: فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب وإخلاص المقصد .

وقد قال الشوكانى أيضًا: (وقد وقع خلاف: هل الأفضل العمرة فى رمضان لهذا الحديث، أو فى أشهر الحج لأن النبى ﷺ لم يعتمر إلا فيها؟ فقيل: إن العمرة فى رمضان لغير النبى ﷺ أفضل، وأما فى حقه فما صنعه فهو أفضل؛ لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يُمنعون من الاعتمار فى أشهر الحج) اهـ[١٦٩٦] .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا الخير حتى يحرصا على الفوز به ـ وفى حدود الاستطاعة ـ وفى الوقت المناسب لهذا .. والله ولى التوفيق،،

(١٦٩٣) وهى أُم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، وامرأة أبى طلحة الأنصارى. وأخت أُم حرام بنت ملحان رضى الله عنهم .

(١٦٩٤) كأنها تشكو إليه ما فاتها من هذا الخير العظيم بعدم خروجها معه ﷺ .

(١٦٩٥) وفى هذه الرواية جزم بتلك الزيادة من غير شك.

(١٦٩٦) انظر ص ٢٨٧ وما بعدها . . مع الهامش فى (الترغيب والترهيب) ج٢ بتصرف.

(١١٣) أخبرْنى بعمَلٍ يُبلِغُنى عَملَ زوجى حتَّى يرجعَ من الغَزْوِ فى سبيلِ الله .. يا رسولَ الله

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ أن امرأةً أتَتْه [١٦٩٧]، فقالت: يا رسول الله انطلق زوجى غَازيًا، وكنتُ أقتدى بصلاته إذا صلَّى وبفعله كلِّه [١٦٩٨]، فأخبرنى بعمل يبلغنى عمله حتى يرجع [١٦٩٩] ؟ قال لها: (**أتستَطيعينَ أن تَقُومِى ولا تقعُدى، وتَصُومى ولا تفطِرى، وتَذْكُرى الله تعالى ولا تَفْتُرى، حتى يرجع** [١٧٠٠] ؟) قالت: ما أُطيقُ هذا يا رسول الله، فقال: (**والذى نفسى بيده** [١٧٠١]، **لو أطقْتِه ما بَلغْتِ العُشُورَ من عَمَلِه**). [رواه أحمد من رواية رِشْدِينَ بن سعد، وهو ثقة عنده،ولا بأس بحديثه فى المتابعات والرقائق]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَثَلُ المجَاهد فى سَبيلِ الله كمثَلِ الصَّائمِ نهارَهُ ، القائمِ ليله حتَّى يرجعَ مَتَى يرجعُ**).

[رواه أحمد والبزار والطبرانى، ورجال أحمد محتج بهم فى الصحيح]

وعن عمران بن حُصَين رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**مقامُ الرجُلِ فى الصَّفِّ فى سبيل الله أفضلُ عند الله من عبادةِ الرجل ستِّينَ سنَةً**).

[رواه الحاكم . وقال: صحيح على شرط البخارى] [١٧٠٢]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**أفضل الأعْمال عند الله تعالَى: إيمان لا شكَّ فيه ، وغَزْوٌ لا غُلُولَ فيه ، وحجٌّ مبرور**).

[رواه ابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحيهما، وهو فى الصحيحين وغيرهما بنحوه] [١٧٠٣]

(١٦٩٧) أى: جاءت إليه فى المسجد أو فى بيته لتسأله، وكان النساء حريصات على عمل الخير.

(١٦٩٨) يعنى: كنت أُساميه فى العبادة وأنافسه فيها، فلا يعمل عملاً إلا عملت مثله.

(١٦٩٩) أى: فدلنى على عمل يكون مساويًا لعمله فى الجهاد حتى أعمل به إلى أن يرجع.

(١٧٠٠) يعنى: أتستطيعين أن تواصلى القيام والصيام وذكر الله عز وجل فلا تنقطعى عن شىء من ذلك حتى يرجع.

(١٧٠١) أى: فى قبضة يده سبحانه، فهو ربها ومولاها يفعل بها ما شاء.

(١٧٠٢) وقال شارح الجامع الصغير (إسناده صحيح).

(١٧٠٣) انظر ص ٤٧٣، ٤٨٨، ٤٨٩ (من الترغيب والترهيب) ج٢ بتصرف.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يُنفِّذاه إذا ما دعا داعى الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال .. والله ولى التوفيق،،

(١١٤) مَا جَزَاءُ مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً .. ومَا جَزَاءُ مَن سَنَّ سُنَّةً سيئةً يا رسولَ الله؟

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، أنه قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار، فجاء قوم حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجتابى [١٧٠٤] النِّمار [١٧٠٥] مُتَقَلِّدى السيوف عَامَّتُهم: بل كُلُّهم مَنْ مُضَر فتَمعَّر [١٧٠٦] وجهُ رسول الله ﷺ لمَا رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذَّن وأقامَ فَصلَّى ثم خطب، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [١٧٠٧] والآية التى فى سورة الحشر: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ [١٧٠٨] تصدق رجل من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشِقِّ تمرة . فجاءه رجل من الأنصار بصُرَّة كادت كَفُّه تعجز عنها بل عجزت. ثم تتابع الناس حتى رأيتُ كَومين [١٧٠٩] من طعام وثياب، حتى رأيت وجْهَ رسول الله ﷺ يَتَهَلَّلُ كأنَّه مُذْهبَة [١٧١٠] . فقال رسول الله ﷺ: (**مَن سَنَّ فى الإسلام سُنَّة حسنةً فَلَهُ أجرُها وأجر مَنْ عَمِل بها من بعده من غير أن ينقُص من أُجورهم شيءٌ . ومَن سَنَّ فى الإسلام سُنَّةً سيئةً فعليه وزرُها ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**).

[آخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه]

ففى هذا الحديث الصحيح ـ ومن خلال عرض السبب فيه ـ يجيب النبى ﷺ

(١٧٠٤) مجتابيها: أى لابسيها.

(١٧٠٥) والنمار: جمع نمرة: أى كساء من صوف مخطط.

(١٧٠٦) تمعر: أى تغير.

(١٧٠٧) النساء: من الآية ١.

(١٧٠٨) سورة الحشر: من الآية ١٨.

(١٧٠٩) كومين: بفتح الكاف وضمها: أى صبرتين.

(١٧١٠) مُذهبة: كمرسلة، أى: مستنيرة صافية.

على هذا التساؤل الذى وُجِّه إليه صلوات الله وسلامه عليه لكى يتفضل بالإجابة عليه .. (هذا) بالإضافة إلى ملاحظة هامة لابد أن يقف عليها الأخ المسلم .. (وهى) أنه ليس المراد بقول الرسول ﷺ: (**مَنْ سَنَّ فى الإسلام سُنَّةً حسنة**): البدعة الحسنة .. (وذلك) لأنه ليس فى الإسلام ما يسمى بهذا الاسم .. لأن النبى ﷺ قال فى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه (١٧١١):

(أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإنْ عَبدًا حبشيّاً، فإنه مَنْ يَعِشْ منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكُمْ بسنتى وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين،تمسَّكُوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدثَات الأمور، فإن كلَّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ).

ولكن من الممكن أن تكون البدعة الحسنة هذه فى الدنيا .. (لأن) النبى ﷺ أخبر بأن كل بدعة ضلالة، فإن لفظ (كل) موضوع للأفراد.. فمعنى الحديث(١٧١٢) أن كل فرد من أفراد البدع ضلالة، وموضوعه العبادة كما علمتَ.

(ومَن) ادَّعى أن الحديث دخله التخصيص بحديث: (**من سَنَّ فى الإسلام سُنَّة حسنة، فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أُجورهم شىء، ومَن سَنَّ فى الإسلام سُنَّة سيئةً فعليه وزرُها ووزر مَنْ عمل بها من بعده من غير أنْ ينقصَ من أوزارهم شىءٌ**): (فدعواه) باطلة، لأن الحديث إنما ورد فى الحثِّ على مكارم الأخلاق العادية التى بها ارتباط القلوب واتفاق الكلمة والقضاء على أسباب التباغض والنفور، وأيضًا فإن الاستنان فيه ليس المراد به الاختراع (١٧١٣)، وإنما المراد به العمل بما ثبت من

(١٧١١) وهو حديث أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه البيهقى والترمذى. وقال: حسن صحيح.

(١٧١٢) أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(١٧١٣) الاختراع: أى الإنشاء، وإلا كان تشريعًا وهو ليس لأحد كائنًا من كان، قال تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ**﴾[هود: ١١٢] وهذا أمر له ﷺ بالاستقامة ومن تاب معه على ما ينزل عليه من عند الله لا من عنده بحسب رأيه وهواه، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾**﴾[النساء] لم يقل الله تعالى لنبيه ﷺ وهو المعصوم: بما رأيته: بل ﴿**بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾ وفى هذا غاية البيان لمن شرح الله صدره للاتباع والبعد عن الابتداع.

السنة النبوية .. (وذلك) لأن سبب حديث ـ جرير بن عبدالله ـ هو الحث على الصدقة المشروعة .. (كما) جاء فى نصه.

(قال) فى الاعتصام: فتأملوا أين قال رسول الله ﷺ: (من سَنَّ سُنَّة حسنة)؟ تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يُقدر عليه، حتى أتى بتلك الصُّرَّة فانفتح بسببه بابُ الصدقة على الوجه الأبلغ، فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ حتى قال: (مَن سَنَّ فى الإسلام ..) الحديث . فَدَلَّ على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابى . وهو العمل بما ثبت كونه سُنة. اهـ ص ٢٣٩ ج١.

وقال فى (الدين الخالص) ج١ ص٦ وما بعدها: (وأما البدعة) التى قسَّموها إلى حسنة وغيرها: فهى اللغوية (ومن المعلوم) أن البدع ليست من الدين، فكيف يُتَقَرَّبُ بها إلى الله عز وجل . وهل يصح من عاقل أن يُعبد الله تعالى بغير ما شرع؟ (وأنَّ) سُنَّةَ النبى ﷺ هى فعله وقوله وتقريره. (وأنَّ) ما تُرك مع قيام المقتضى فتركه سُنَّة وفعله بدعة: كالأولى والثانية يوم الجمعة: تركهما النبى ﷺ مع قيام المقتضى وهو التشريع . فتركهما سنة (وكذا) الترقية بين يدى الخطيب ورفع الصوت حال السير مع الجنازة وسائر البدع فى العبادة: تركها مطلوب شرعًا لأنها ضلالة يجب البعد عنها (وقد) أجمعوا على أن كل بدعة حدثت رُفع مثلُها من السُّنَة، لحديث غَضيف بن الحارث أن النبي ﷺ قال: **(ما أحدثَ قَوْمٌ بدعةً إلا رُفِعَ مثلُها من السُّنَة)** [أخرجه أحمد]

وقال عبد الله بن الديلمى: (بلغنى أن أول ذهاب الدين تركُ السُّنة يذهب الدينُ سُنَّة سُنَّة كما يذهب الحبلُ قوةً قوةً) [أخرجه الدارمى]

ثم بعد ذلك يقول فى الدين الخالص: (فالمطلوب) ممن يريد حفظ دينه من الضياع وسلامة عقيدته من الفساد، ألاَّ يركن إلى أى كتاب ادَّعى صاحبه استحسان أى بدعة فى العبادة، أو مال إلى عقيدة فاسدة، وإلاَّ ضَلَّ وخاب، وغَرق فى غياهب التَّباب [١٧١٤]. هذا، والمعلوم أن الدين هو ما أوحاه الله إلى

(١٧١٤) التَّباب بالفتح: أى الخسران والهلاك (مختار الصحاح).

رسوله ﷺ، وأنه مأمور بتبليغه من غير تغيير ولا زيادة ولا نقص، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[١٧١٥] وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[١٧١٦] وقال: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[١٧١٧] وقال: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[١٧١٨] وقال: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾[١٧١٩]، وما إلى ذلك من الآيات الناطقة بأنه لا مُشَرِّعَ إلا الله تعالى (ولو أدرك) المتعرِّضون للتأليف ذلك ما قالوا بتحسين أى بدعة ـ فى الدين ـ سيَّما وأن كلَّ بدعة مردودة بقول رسول الله ﷺ: (**مَن أحدثَ فى أمرنا هَذَا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ**) [أخرجه الشيخان وأبو داود وابن ماجه عن عائشة]

ثم يقول: (ولو عقلوا) أن الأحكام لا تثبت إلا بدليل من الكتاب أو السنة (ما أثبتوا شيئًا من هذه المخالفات فى كتبهم) (وإذا) كانت البدع ليست من الدين، فما الدليل على حُسنها؟ (وهل) الدين كان ناقصًا وكمل بالبدع التى ليست منه؟ ألم يبلغهم قول الله عز وجل: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾[١٧٢٠] ؟ أم بلغهم ولم يفقهوه؟ أم اعتقدوا أن الدين الذى شرعه الله سبحانه وتعالى كامل ولكن البدع أكمل منه ؟ فلذا تركوا العمل بالكثير منه، وعكفوا على العمل ببدعهم، وغفلوا عن قول النبى ﷺ: (**اتَّبِعُوا ولا تبتَدِعُوا فقد كُفيتُم**) [أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا من أهل السنة .. لا من أهل البدعة .. (وعليهما) أن يكونا على صلة بالكتاب والسنة فهمًا وتطبيقًا حتى لا يضلاَّ أو يزلاَّ .. مع ملاحظة أن الإمام مالكًا رحمه الله كان

(١٧١٥) النجم: ٣، ٤.

(١٧١٦) المائدة: ٦٧.

(١٧١٧) هود: ١١٢.

(١٧١٨) آل عمران: ١٢٨.

(١٧١٩) الحاقة ٤٤ ـ ٤٧، والوتين: عِرْق بالقلب يتصل بالرأس إذا انقطع مات صاحبه.

(١٧٢٠) المائدة: ٣ .

يقول: مَنِ استحسن بدعة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة [١٧٢١] .

(وأن) الإمام الشافعى رحمه الله قال فى رسالته: إذا وجدتم قولى يخالف قول رسول الله ﷺ فاعملوا بقول رسول الله ﷺ واضربوا بقولى عُرض الحائط .. (كما) نُقل عن جميع الأئمة أنهم كانوا يقولون لأصحابهم: خذوا العلم من حيث أخذنا.. أى: من الكتاب والسنة .. (وكانوا) يقولون: ليس لأحد كلام مع رسول الله ﷺ، لأن الله لم يجعل لأحد معه كلاماً، وجعل قوله يقطع كُلَّ قول . (وعليهما) أن يذكرا دائماً وأبدًا .. أن الخير كله فى الاتباع .. وأن الشر كله فى الابتداع .. (وهما) يسألان الله تعالى دائمًا وأبدًا ـ معنا ـ أن يجعلنا جميعًا كمؤمنين صادقين .. وكمحبين لرسول الله ﷺ من أهل الاتباع لا من أهل الابتداع .. اللهم آمين،،

(١١٥) يا رسولَ الله .. أمن الكِبْر أنْ يكون لىَ الحُلَّةُ فألبسُها؟ أو الراحلةُ فأركبها؟

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قلت: يا رسول الله، أمنَ الكِبْر أن يكون لى الحُلَّةُ فألْبَسُهَا؟ قال: **(لا)**. قلتُ: أمنَ الكبر أن تكون لىَ راحلةٌ فأركَبُها؟ قال: **(لا)** . قلت: أمنَ الكِبْر أن أصنَعَ طَعَامًا فأدْعُوَ أصْحَابي؟ قال: **(لا)** .**(الكِبْرُ أن تَسْفَه**[١٧٢٢] **الحقَّ، وتَغْمِصَ الناسَ)** [أخرجه أحمد والبزار بسند رجاله ثقات]

(فهذا) الحديث، يُشير أولاً إلى حقيقة الكبر الذى ورد فى شأنه، وتوضيح حقيقته:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **(لا يدخُلُ الجنَّةَ مَنْ كان فى قلبه مثقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْر)**، فقال رجُلٌ: إنَّ الرجُلَ يُحِبُّ أن يَكُونَ ثوبُهُ حَسَنًا

(١٧٢١) وكان يقول: ما لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وآله وسلم دينًا لم يكن اليوم دينًا .

(١٧٢٢) سَفه الحق من باب تعب، أى جهله، (غمصه): من باب ضرب وسمع وفرح، أى: احتقره كاغتمصه، وعابه وتهاون بحقه أ هـ قاموس.

ونعلُهُ حَسَنَة؟ قال: (**إنَّ الله جَمِيلٌ يحِبُّ الجمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ** (١٧٢٣) **وغَمْط** (١٧٢٤) **النَّاسِ**) [رواه مسلم]

(فإن) هذا الحديث كما هو واضح من نصه يشير إلى أنه ليس من الكبر أن تكون حسن الهيئة .. تَحُدُّثًا بنعمة الله عليك .. وإنما الكبر أن يكون هذا التجمُّل تكَبُّرًا .. أو إسرافًا.

(فعن) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال: (**كُلوا وَاشْربوا، والْبسُوا، وتصدَّقُوا: فى غَيْر إسْرافٍ ولا مَخيلةٍ** (١٧٢٥)).

[أخرجه أحمد والبخارى والنسائى والحاكم وابن ماجه]

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: (**كُلْ مَا شِئتَ، والبسْ ما شِئتَ، ما أخطأتْكَ اثنتان: سَرَفٌ أو مخيلة**) [أخرجه البخارى]

(وقد) ورد الترهيب من هذا التكبر أو إعجاب المرء بنفسه .. فى القرآن والسنة .. قال تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ** (١٧٢٦) **خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (١٧٢٧).

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**بينما رجلٌ يمشى فى حُلة تُعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ رأسه** (١٧٢٨)، **يختالُ فى مِشْيته، إذ خَسَف الله به، فهو يتجلجل فى الأرض** (١٧٢٩) **إلى يوم القيامة**) [متفق عليه]

(فإذا) كنتَ أيها الأخ المسلم غير متكبر أو مُسرف بهذا المعنى المشار إليه فى الآية الكريمة، وفى الحديث الأخير .. فإنه لا مانع شرعًا من أن تكون مُتجملاً بتلك الصورة المشروعة التى أشار إليها النبى ﷺ فى قوله: (.. **فى غير إسْرافٍ**

(١٧٢٣) بطر الحق: دفعه وردُّه على قائله .

(١٧٢٤) وغمط الناس، أى: احتقارهم.

(١٧٢٥) المخيلة: كعظيمة، أى: الكبر.

(١٧٢٦) ومعنى تُصَعِّر خدك، أى: تُميله وتُعرِض به عن الناس تكبرًا عليهم، والمرح، أى: التبختر.

(١٧٢٧) لقمان: ١٨ .

(١٧٢٨) أى: ممشطه.

(١٧٢٩) أى: يغوص وينزل.

ولا مَخيلة)، والتى بها ستكون مُتَحدِّثًا بنعمة الله عليك .. لأن الله تعالى يقول: ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ (١٧٣٠).

(وعن) ابن عمرو ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**إن اللهَ يحبُّ أنْ يرى أثرَ نعمته على عَبْدِه**) [أخرجه الحاكم والترمذى وحسَّنه]

(ولهذا)، فقد رأيت الآن وبعد هذا التمهيد الموضوعى: أن أبدأ فى تزويد الأخ القارئ بما جاء فى (الدين الخالص) (١٧٣١)، حول موضوع:

اللِّبَاس

الذى هو موضوع الفتوى التى ندور حولها حيث يقول ـ بتصرف وإيجاز ـ تحت عنوان:

حكم اللبس

أى: الذى ينبغى على المسلم أن يكون على علم بأحكامه .. حتى يكون مُلتزمًا بشرع الله فيه، وحتى يكون منتفعًا بعلم رسول الله ﷺ:

وخلاصته أنه:

(أ) فرض، وهو ما يستر العورة، ويدفع الحر والبرد، قال الله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ (١٧٣٢) أى: ما يستر عورتكم عند الصلاة.

(والإنسان) لا يتحمل الحر والبرد، فيحتاج إلى دفع ضررهما باللباس، قال تعالى: ﴿**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**﴾ (١٧٣٣) أى: والبرد.

(ويكون) ـ أى اللباس المفروض ـ من قطن أو كتان أو صوف أو غيرهما مما يحل، وقد لبس النبى ﷺ الصوف وغيره:

(فعن) الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال:

(١٧٣٠) سورة الضحى: ١١.

(١٧٣١) ج٦ ص ١٧٢ وما بعدها.

(١٧٣٢) الأعراف: من الآية ٣١.

(١٧٣٣) النحل: من الآية ٨١.

(خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم وعليه جُبَّة رُومية من صوف ضَيِّقة الكُمين، فصلى بنا فيها، ليس عليه شيء غيرها) [أخرجه ابن ماجه .. والأحوص ضعيف]

(وقال) المغيرة بن شعبة: وضَّأتُ رسول الله ﷺ، وعليه جُبة من صوف شامية ضيقة الكُمَّيْن. [الحديث أخرجه الترمذى]

(وقال) أبو بردة: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها، فأخرجت إلينا كساء مُلبَّدًا وإزارًا غليظًا، فقالت: قُبِضَ رسول الله ﷺ فى هَذَيْن.

[أخرجه البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى]

(ب) ومستحب، وهو ما يحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(١٧٣٤).

(وعن) أبى الأحوص عن أبيه قال: أتيتُ النبى ﷺ وعلىَّ ثوب دون (١٧٣٥). فقال: (**ألك مال**)؟ قلت: نعم. قال: (**من أىِّ المال**)؟ . قلت: من كل المال قد أعطانى الله تعالى . قال: (**فإذا آتاك الله مالاً فليُرَ عَلَيْك أثرُ نعمةِ الله وكرامته**).

[أخرجه النسائى، وأخرج الطبرانى نحوه فى الصغير بسند رجاله رجال الصحيح]

(جـ) ومُبَاحٌ، وهو الثوب الجميل للتَّزَيُّن، ولا سيّما فى الجُمع والأعياد ومَجامع النَّاس .

(فعن) محمد بن يحيى بن حَبَّان ـ بفتح الحاء ـ أن النبى ﷺ قال: (**ما على أحدكُم إن وجَد سَعَةً** (١٧٣٦) **أن يتَّخذَ ثوبين ليوم الجمعةِ غيْرَ ثوبى مهنته**(١٧٣٧)) [أخرجه أبو داود والبيهقى، وأخرجه أبو داود عن يوسف بن عبدالله ابن سلام، وأخرجه ابن ماجه عن عائشة]

(د) ومكروه، وهو اللبس للتكبُّر والخُيلاء .. بدليل الأحاديث التى وقفنا عليها فى التحذير من الكِبْر .

(١٧٣٤) الضحى آية: ١١.

(١٧٣٥) لعل المعنى، أنه كان يلبس ثوبًا رخيصًا، وليس من النوع الجيد.

(١٧٣٦) أى: فى الرزق.

(١٧٣٧) المهنة بالفتح: الخِدمة (مختار الصحاح).

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامة إلى مَن جَرَّ إزارَهُ بَطَرًا)** [متفق عليه]

(وعنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **(قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: العزُّ إزارِى، والكبرياءُ رِدَائِى، فمن نازعَنِى فى واحدٍ منهما فقد عَذَّبتُه)** [رواه مسلم]

(هـ) وحرام على الرجال والخَنَاثى المُكَلَّفين المختارين: وهو الحرير، فيحرم على الرجل والخُنْثَى لا المرأة لبسه، ولو بحائل بينه وبين بدنه (وما قيل) من أنه لا يَحرم إلا إذا مسَّ الجلد (فغير) صحيح، لا يجوز العمل ولا الفتوى به، لأنه مخالف لعموم الأدلة التى منها:

(حديث) ابن الزبير ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(مَن لَبِسَ الحريرَ فى الدُّنيا لم يَلْبسْه فى الآخرةِ)** [أخرجه الشيخان، وأخرجه أحمد والنسائى عن أنس]

(وحديث) أبى أمامة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(مَنْ كانَ يُؤمِنُ بالله واليوم الآخر فلا يلبسْ حريرًا ولا ذهبًا)** [أخرجه أحمد والحاكم]

(وحديث) البراء بن عازب ﷺ، قال: نهى رسول الله ﷺ عن الدِّيباج، والحرير، والإستبرق (١٧٣٨). [أخرجه ابن ماجه]

(وما ذُكِرَ) خاص بالرجال دون النساء (لحديث) على ﷺ، أن النبى ﷺ أخذ حريرًا فجعله فى يمينه، وذهبًا فى شماله، ثم رفع بهما يديه، فقال: **(إنَّ هذيْنِ حرام (١٧٣٩) على ذُكور أمتى)** [أخرجه أحمد]

(ولحديث) زيد بن أرقم وواثلة بن الأسقع أن النبى ﷺ قال: **(الذهبُ والحرير حِلٌّ لإناث أمتى، حرامٌ على ذُكورِهَا)**.

[أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبو داود والنسائى وابن حبان وابن ماجه]

(١٧٣٨) الديباج: ما سُداه ولحمته من حرير، والإستبرق: ما غلظ منه، فذكرهما معه، من ذكر الأخصّ مع الأعم.

(١٧٣٩) إن هذين، إشارة إلى الجنس لا العين فقط، و(حرام) مصدر لا يُثنى ولا يُجمع، أى كل واحد منهما حرام، فأُفرد لئلا يتوهم الجمع.

(ولحديث) أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (**حُرِّم لباسُ الحرير والذهَبِ على ذُكُورِ أُمَّتِي وأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ**) .

[أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

(ففى) هذه الأحاديث دلالة على حلِّ لبْس الحرير للنساء وتحريمه على الرجال، وهو متفق عليه، إن كان الحرير خالصًا . وكذا إذا كان غالبًا ظاهرًا عند جمهور السَّلَف والخلَف، فإن الأدلة لم تفرق بين الخالص والمخلوط، ولأن الأقل كالعدم.

(وقال) ابن عباس وجماعة: إنما يحرم الحرير الصافى الذى لا يخالطه غيره (فعن) خُصَيْف بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس قال: نهى النبى ﷺ عن الثوب المُصْمَت[١٧٤٠] من الحرير. وأما العلَم من الحرير وسَدى الثوب[١٧٤١] فلا بأس به . [أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقى بسند صحيح، كما قال النووى. (ولكن) خُصَيفًا ضعَّفه أحمد وقال: ليس بحجة ولا قوى ا هـ]

وأخرجه الطبرانى بسند حسن والحاكم بسند صحيح، عن ابن جريج عن عكرمة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: إنما نهى النبى ﷺ عن المُصمت إذا كان حريرًا.

(وعن) عبدالله بن سعد عن أبيه قال: رأيتُ رجلاً[١٧٤٢] ببُخَارَى علىَ بَغْلة بيضاء، عليه عمامة خَزٍّ سوداء. فقال: كسانيها رسول الله ﷺ .

[أخرجه أبو داود والترمذى والبخارى فى التاريخ الكبير]

(قال) ابن الأثير فى النهاية: الخَزُّ ثياب تُنْسَجُ من صوف وإبريسيم[١٧٤٣]. وهى مباحة، وقد لبسها الصحابة والتابعون، فيكون النهى عنها لأجل التشبُّه بالعجم وزى المترفين (وقال) المنذرى: الخز أصله من وبر الأرنب ويُسَمَّى ذكره

(١٧٤٠) المصمت: بضم فسكون ففتح: الخالص.

(١٧٤١) والسَّدى بفتح السين وقد تضم: ما يمد طولاً فى النسج.

(١٧٤٢) هو عبدالله بن خازن بالخاء المعجمة والزاى، كُنْيَتُه أبو صالح. قيل: إن له صحبة.

(١٧٤٣) والإبريسيم، هو: نوع من أنواع الثياب.

الخُزَر كصُرد. وقيل: إن الخز ضَرْبٌ من ثياب الإبريسيم. (وقال) القاضى عياض: الخز ما خُلِطَ من الحرير والوبر.

(وأجاب) الجمهور: (أ) عن حديث ابن عباس بأنه يحتمل أن يُراد بالمُصمت فيه، الخالص أو ما غالبه حرير. بدليل قوله: وأما العلم وسُدى الثوب فلا بأس به. (ب) وعن حديث عبدالله بن سعد عن أبيه (بأن قول) الرجل فى عمامة الخز: كسانيها رسول الله ﷺ (لا يستلزم) جواز لبسه إياها، لجواز أن يكون النبى ﷺ سلمها له ليجعلها خمارًا لبعض نسائه كما وقع نظيره لعمر وعلىٍّ وأُسَامة ابن زيد ﷺ.. ويحتمل أن تكون تلك العمامة متخذة من حرير وغيره، وليس الحرير غالبًا، أو متخذة من وبر الأرنب كما قيل فى الخز.

(ومن هذا) تعلم حرمة لبس القطانى، والأحزمة المتخذة من الحرير الخالص أو الغالب . وقد تغالى بعضهم فاتخذ منه جُبَّةً أو عباءة أو قميصًا أو طيْلسانًا على الرأس أو غير ذلك، وسكت على هذا كثير من أهل العلم، بل استعمله بعضهم، فاغتر بهم كثير من القاصرين الجاهلين واقتدى بهم، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

(قال) النووى فى شرح مسلم: وأما لبس الحرير والإستبرق والديباج، والقسِّى وهو نوع من الحرير ، فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها، إلا أن يلبسه للحكَّة [١٧٤٤] فيجوز فى السفر والحضر . وأما النساء فيُباح لَهُنَّ لبس الحرير بجميع أنواعه، وخواتم الذهب وسائر الحُلى منه ومن الفضة، سواء المزوَّجة وغيرها، والشابة والعجوز والغنية والفقيرة. هذا مذهبنا ومذهب الجماهير ا هـ .

فكُنْ أخى القارئ المسلم مُنْتفعاً مع الأخت المسلمة بهذا العلم النافع الذى كان حول أحكام اللباس التى للأسف الشديد يجهلها كثير من المسلمين ذكورهم وإناثهم .. بتلك الصورة التى كانت ولا تزال سببًا فى التَّزَيُّن بالحرام ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[١٧٤٥] .

(١٧٤٤) أى: بسبب مرض جلدى.. وهو الجرب.. عافانا الله منه ومن غيره من الأمراض.

(١٧٤٥) الكهف آية: ١٠٤.

ولَولا العِلْـمُ مـا سَعِـدَتْ نُفُوس ولا عُـرِف الحلالُ مـن الحَرامِ

(ولهذا) كان لابد كما أشرتُ أن نَطلب العلم النافع دائمًا وأبدًا .. بل وينبغى أن نسعى إلى مجالسه .. التى هى خير المجالس:

(فقد) ورد فى حديث صحيح رواه مسلم، عن رسول الله ﷺ أنه قال مرغِّبًا فى طلب العلم: (.. **ومَن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومَن بَطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه**) .

(هذا)، وإذا كان موضوع الفتوى ـ بالإضافة إلى أحكام اللباس ـ يحذر فى نفس الوقت من الكِبْر، كما يوضح حقيقته .. (فإننى) أرجو أيضًا من الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يكونا على عكس هذا .. أى: من أهل التواضع .. لأنه كما ورد فى الأثر: (مَنْ تواضعَ لله رفعه)، كما ورد كذلك: (ألِنْ جانبك لقومك يُحبوك، وتواضع لهم يرفعوك).. والله ولى التوفيق،،

(١١٦) ما هو حُكْم نكاح المُتعَة يا رسولَ الله؟

عن سبُرةَ بن معبد الجهنى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أيها الناس ، إنَّا كُنَّا أذنَّا لكُم فى نكاح المتعة، ألا وإنها حرام إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منْهنَّ شئٌ فليُخْل سبيلَهَا، ولا تأخُذُوا مما آتيتُموهُنَّ شَيئًا**).

[أخرجه مسلم والنسائى]

(فهذا) الحديث الشريف أورده الإمام مسلم فى صحيحه، وهو فى شرح النووى جـ ٩ ص ١٨٦ (باب نكاح المتعة وبيان أنه أُبيحَ ثم نُسِخ، ثم أُبيحَ ثم نُسِخَ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة).

(وهذا) الموضوع الذى يشير إليه الحديث، وهو نكاح المتعة يُعتبر من أهم المواضيع الفقهية التى لابد أن يكون الأخ المسلم .. بل والأخت المسلمة .. على

علم بكل ما يتعلق به من أحكام .. حتى لا يكونا من هؤلاء الجهلاء الذين يظنون أنه لا زال حلالاً إلى الآن .. وأنه لم يُحرَّم.

ولهذا، فقد رأيت أن أدور حول الموضوع ـ وبإيجاز مفيد ـ إن شاء الله تعالى .. من أهم زواياه الفقهية .

وإذا كان لى أن أبدأ بتعريف هذا الزواج .. والسر فى إباحته أولاً .. ثم لماذا حُرِّم بعد ذلك إلى يوم القيامة .. فإننى أرى أن أبدأ بما قاله صاحب كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام)، تحت عنوان:

زواج المتعـــة

والزواج فى الإسلام عقد متين وميثاق غليظ، يقوم على نية العشْرة المؤبدة من الطرفين لتتحقق ثمرته النفسية التى ذكرها القرآن ـ من السَّكن النفسى والمودة والرحمة ـ وغايته النوعية العمرانية من استمرار التناسل، وامتداد بقاء النوع الإنسانى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾(١٧٤٦).

ثم يقول: (أما) زواج المُتعَة، وهو ارتباط الرجل بامرأة لمدة يُحدِّدَانها لقاء أجْر مُعَيَّن، فلا يتحقَّق فيه المعنى الذى أشرنا إليه (وقد) أجازه الرسول ﷺ قبل أن يَستقرَّ التشريع فى الإسلام (أجازه) فى السفر والغزوات، ثم نهى عنه وحَرَّمه على التأبيد .. ثم يقول:

وكان السر فى إباحته أولاً أن القوم كانوا فى مرحلة يصح أن نُسَمِّيها «فترة انتقال» من الجاهلية إلى الإسلام، وكان الزِّنى فى الجاهلية مُيسَّرًا مُنتَشرًا . فلما كان الإسلام، واقتضاهم أن يُسافروا للغزو والجهاد شَقَّ عليهم البُعد عن نسائهم مشقة شديدة، وكانوا بين أقوياء الإيمان ضعفاء، فأمَّا الضعفاء، فخيف عليهم أن يتورَّطُوا فى الزِّنَى، أقبح به فاحشة وساء سبيلاً .

(وأما) الأقوياء فعزموا على أن يُخْصوا أنفسهم، أو يَجُبُّوا مذاكيرهم كما قال

(١٧٤٦) النحل: ٧٢.

ابن مسعود: (كُنَّا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس معنا نساء، فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، ورخَّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل). [متفق عليه]

(وبهذا) كانت إباحة المتعة رخصة لحلِّ مشكلة الفريقين من الضعفاء والأقوياء، وخطوة فى سير التشريع إلى الحياة الزوجية الكاملة، التى تتحقق فيها كل أغراض الزواج من إحصان واستقرار وتناسل، ومودَّة ورحمة، واتساع دائرة العشيرة بالمصاهرة.

ثم يقول: (وكما) تَدَرَّج القرآن بهم فى تحريم الخمر وتحريم الربا ـ وقد كان لهما انتشار وسلطان فى الجاهلية ـ تدرج النبى ﷺ بهم كذلك فى تحريم الفروج . فأجاز عند الضرورة المتعة، ثمَّ حَرَّم النبى ﷺ هذا النوع من الزواج. كما روى ذلك عنه على، وجماعة من الصحابة ﷺ. ومن ذلك ما أخرجه مسلم فى (صحيحه) عن سبرة الجهنى: (أنه غزا مع النبى ﷺ فى فتح مكة، فأذنَ لهم فى متعة النساء . قال: فلم يخرج حتى حَرَّمها رسول الله ﷺ)، وفى لفظ من حديثه: (وإن الله حَرَّم ذلك إلى يوم القيامة) .

ثم يقول: ولكن هذا التحريم بات كزواج الأُمهات والبنات، أو هو تحريم مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، فيباح عند الضرورة وخوف العَنت؟ (الذى) رآه عامَّة الصحابة أنه تحريم باتٌّ حاسم لا رُخصة فيه بعد استقرار التشريع، وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تباح للضرورة، فقد سأله سائل عن مُتعة النساء فرخَّص له ، فقال له مولىً له : إنما ذلك فى الحال الشديد ، وفى النساء قلة أو نحوه ؟ قال ابن عباس: نعم (١٧٤٧) .

ثم لما تبين لابن عباس ﷺ أن الناس توسَّعُوا فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة، أمسك عن فتياه ورجع عنها (١٧٤٨).

(١٧٤٧) أخرجه البخارى.

(١٧٤٨) زاد المعاد جـ٤ ص٧ طـ صبيح . أخرجه البيهقى، وصحيح مسلم ـ باب نكاح المتعة.

وقد أشار فضيلة الشيخ محمود شلتوت ـ عليه رحمة الله ـ فى كتابه (الفتاوى) إلى ملاحظات هامة تتعلق بموضوع زواج المتعة .. حيث يقول ما خلاصته:

والقرآن قد ربط بعنوان الزوجية أحكاماً كثيرةً كالتوارث، وثبوت النسب، والنفقة، والطلاق، والعدة، والإيلاء، والظهار، واللعان، وحرمة التزوج بالخامسة، وغير ذلك مما يعرفه الناس جميعًا، وليس شىء من هذه الأحكام بثابت فيما يعرف بزواج المتعة .. كما يقول تحت عنوان:

أُبيحت المتعةُ لحكمةٍ ثم حُرِّمَت

نعم، ثبت أن النبى ﷺ أباحه للمحاربين فى بعض الغزوات، وثبت أيضًا بما لا شك فيه أنه نهى عنه نهيًا عاماً وحَرَّمه تحريمًا مؤبدًا، وقد جمع مسلم فى صحيحه، والحافظ ابن حجر فى شرح البخارى أحاديث النهى، فليرجع إليها من شاء .

وما كان نَهْى عمر عنها ـ وتوعده فاعلها أمام جمع من الصحابة وإقرارهم إياه ـ إلا عملاً بهذه الأحاديث الصحيحة، واقتلاعًا لفكرة مشروعيَّته من بعض الأذهان .. إلى أن يقول فى ختام كلامه:

(وإن) الشريعة التى تُبيح للمرأة أن تتزوَّج فى السنة الواحدة أحد عشر رجُلاً، وتبيحُ للرجل أن يتزوج كل يوم ما تمكّن من النساء، دون تحميله شيئًا من تبعات الزواج، إن شريعة تُبيح هذا لا يمكن أن تكون هى شريعة الله رب العالمين، ولا شريعة الإحصان والإعفاف . ا هـ .

وأنا شخصيًا مع هذا القول الأخير بالإضافة إلى ما سبقه من أقوال فى المرجع السابق .. (فعلى) الأخت المسلمة بصفة خاصة أن تلاحظ هذا أولاً حتى لا يخدعها أحد الخارجين على هذا الشرع القويم .. ويطلب منها تحقيق هذا الزواج بينهما .. وهو حرام إلى يوم القيامة كما علمت .. وعلى الأخ المسلم الغيور على دينه وعلى تعاليم هذا الشرع .. أن يكون حارسًا لأخته المسلمة .. وحارسًا لنفسه أيضًا فى نفس الوقت .

(وعليهما) إذا أرادا الزواج المشروع أن يتزوَّجا زواجًا مؤبدًا [١٧٤٩] وبالصورة الشرعية التى يباركها جمع من المؤمنين .. والله ولى التوفيق،،

(١١٧) هل يَجُوز التَّشَبُّه بأهل الكتاب فى اللبَاسِ الخَاصِّ بهِمْ . .يا رسولَ الله؟

عن أبى أُمامة ﷺ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم، فقال: (**يا معْشَرَ الأنصار حَمِّروا وصَفِّروا، وخَالفُوا أهلَ الكتَابِ**). فقلنا: يا رسول الله، إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون؟ فقال رسول الله ﷺ: (**تسرولوا وائتزروا، وخالفوا أهْلَ الكتَابِ**) قلنا: يا رسول الله، إن أهل الكتاب يتخفَّفُون ولا ينتعلون؟ فقال رسول الله ﷺ: (**فتخفَّفُوا وانتعلوا وخالفوا أهلَ الكتَابِ**)، فقلنا: يا رسول الله، يقصون عثانينهم [١٧٥٠] ويُوفِّرون سبالهم؟ فقال النبى ﷺ:(**قُصُّوا سبالكم، ووفِّروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب**).

[أخرجه أحمد والطبرانى، ورجال أحمد رجال الصحيح خلا القاسم. وهو ثقة، قاله الهيثمى]

ولهذا، فقد قال فى (الدين الخالص) ج٦ [١٧٥١] تحت عنوان (المخالفة فى اللباس): ينبغى للإنسان أن يكون لباسه من الحلال المعتاد لأمثاله، ويكره له لبس غير زى أهل بلده وأقرانه، ويحرم التشبه بأهل الكتاب فى اللباس الخاص بهم (لقول) أبى كريمة: سمعت علىَّ بن أبى طالب رضي الله عنه وهو يخطب على منبر الكوفة وهو يقول: يا أيها الناس، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إياكم ولباسَ الرُّهبان، فإنه مَن تَرهَّب أو تَشبَّه فليس منِّى**).

[أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه على بن سعيد الرازى، وهو ضعيف]

(١٧٤٩) اللهم إلا إذا كانت هناك أسباب تدعو إلى الطلاق الذى هو أبغض الحلال عند الله .

(١٧٥٠) عثانينهم، جمع عثنين، وهو اللحية.

(١٧٥١) ص ٣١١ وما بعدها بتصرف.

ثم يشير بعد ذلك إلى ملاحظة هامة، قال فيها: سئل الحافظ جلال الدين السيوطى عن طالب علم تَزَيًّا بزى أهل العلم وهو فى الأصل من قُرى البر، ثم لما رجع إلى بلاده وعشيرته تزيًّا بزيِّهم وترك زى أهل العلم، هل يُعترض عليه فى ذلك أم لا ؟ (فأجاب) بما معناه: لما اتصف بالصفتين لا اعتراض عليه فى أى الزِّيَّيْنِ تَزَيًّا، لأنه إن تزيًّا بزى العلماء فهو منهم، وإن تزيا بزى أهل بلده وعشيرته فلا حرج عليه اعتبارًا بالأصل، ولأنه بين أظهُرِ عشيرته وقومه، وهذا واضح، ولعل كلام علمائنا لا يخالفه . ومرادهم بقولهم: ويكره خلاف زى بلده، يعنى بلا حاجة تدعو إلى خلافهم، فإن مَنْ صار من العلماء تزيًّا بزيِّهم فى أى مصر كان أو بلدة كانت غالبًا ا هـ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يقعا فى هذا المحظور المنهى عنه .. والله الموفق للصواب،،

(١١٨) حدِّثْنَا يا رسُولَ الله عن الثَّلاثة الذين دَخلُوا الغَارَ فانحدرَتْ صَخْرةٌ من فَوق الجبل فَسَدَّتَ عليهم هَذا الغَارَ .. وما الذى كانَ سَبَبًا فى نَجَاتهم؟

عن عبد الله بن عُمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعْت رسول الله ﷺ يقول: **(انطلق ثلاثةُ نفرٍ ممَّن كان قبلكُم حتى أواهُمُ المبيتُ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ فسدَّت عليهمُ الغارَ، فقالوا: إنه لا ينجيكُم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالحِ أعمالكم.**

قال رجل منهم: اللهم كانَ لى أبوان شيخانِ كبيرانِ، وكنتُ لا أغبقُ(١٧٥٢) قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى(١٧٥٣) بى طلب الشجر يومًا، فلم أَرُحْ

(١٧٥٢) الغبوق هو شراب اللبن، أو الشرب بالعشى، والصَّبوح الشرب بالغداة . . أى: فى الصباح (مختار الصحاح) بتصرف.

(١٧٥٣) أى: أبعدنى.

عليهما [١٧٥٤] حتى نَامَا، فحلبتُ لهما غبوقَهُما، فوجدتُهُما نائمين، فكرهتُ أن أوقظَهُما، وأن أغبق قبلهُما أهلاً أو مَالاً، فلبِثْتُ والقدح على يَدِى أنتظر استيقَاظهُما حتى بَرقَ الفجر والصِّبية يتضاغَون عند قدَمَى، فاستَيْقَظَا فشربَا غَبُوقَهُما .. اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجْهكَ، فَفرِّج عَنا ما نحنُ فيه من هذه الصخرة .. فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عَمٍّ كانت أحبَّ الناس إلىَّ، وفى رواية: كنتُ أُحبُّها كأشَدِّ ما يُحبُّ الرجلُ النساءَ، فأردتُّها على نفسها فامتنعتْ منى[١٧٥٥]، حتى ألـمَّتْ بها[١٧٥٦] سَنَةٌ من السِّنين [١٧٥٧]، فجاءتنى فاعطيتُها عِشْرينَ ومائة دينار [١٧٥٨] على أن تُخَلِّىَ بينى وبين نفسها، فَفَعَلَتْ، حتى إذا قدرتُ عليها، وفى رواية: فلما قعدتُ بين رِجْلَيْها قالت:اتق الله ولا تفضَّ الخاتَم إلا بحقه[١٧٥٩]، فانصرفْتُ عنها، وهى أحَبُّ الناسِ إلىَّ، وتركتُ الذهبَ الذى أعطيتُها . اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهِكَ، فافرجْ عَنَّا ما نحنُ فيه، فانفرجَتْ الصخرةُ غير أنهم لا يستطيعون الخروجَ .

وقال الثالث: اللهم استأجرتُ أجَراءَ وأعطيتُهم أجرهُم، غير رجُل واحد ترك الذى له وذهبَ، فَثَمَّرتُ أجرهُ[١٧٦٠]، حتى كثُرَتْ منه الأموال .. فجاءنى بعد حين [١٧٦١] فقال: يا عبد الله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلتُ: كُلُّ ما ترى من أجـرك من الإبل والبقر والغنم والرقـيق [١٧٦٢] . فـقـال : يا عبد اللـه

(١٧٥٤) أى: لم يعد إليهما إلا بعد أن ناما.

(١٧٥٥) أى: خوفًا من الله تبارك وتعالى.

(١٧٥٦) أى: نزلت بها.

(١٧٥٧) أى: جاعت واحتاجت .

(١٧٥٨) أى: أعطاها مائة وعشرين دينارًا .

(١٧٥٩) أى: لا تفضَّ بكارتى إلا بالزواج الشرعى.

(١٧٦٠) أى: استثمره له فى تجارة أو زراعة . . مثلاً.

(١٧٦١) أى: بعد حين من الزمان.

(١٧٦٢) أى: العبيد.

لا تستهزئ بى، فقلتُ: لا أستهزئ بك، فأخذه كُلَّه فاستاقه، فلم يترك منه شيئًا . اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فأفرِجْ عنَّا ما نحن فيه، فانفرجتِ الصخرةُ فخرجوا يمشون). [متفق عليه]

ففى هذا الحديث الشريف المتفق عليه يشير النبى ﷺ إلى أهمِّ ملاحظة ينبغى علينا أن نلتفت إليها بقلوبنا .. وهى ضرورة أن يكون هناك اتصال بيننا وبين الله تبارك وتعالى عن طريق الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه سبحانه وتعالى ولاسيما فى الأزمات والنكبات التى ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (١٧٦٣).

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أى: واطلبوا القربة إليه بالعمل الصالح الذى يرضيه ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٧٦٤).

هذا، وإذا كان الحديث يدور حول موضوع (الصخرة) .. فإن هذه الصخرة قد تكون معنوية بالنسبة لنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وأعنى بهذا أنها قد تكون أزمةً، أو مُصيبةً، أو قضية، أو دَيْنًا، أو هَمًا، أو غمًا، أو عَدُوًا يُهدِّدُ حياتك وحياة أسرتك فضلاً عن مالك ومتاعك .. وتريد أن تستعين بالله سبحانه وتعالى على الخروج من كل تلك الأزمات والنكبات .. الخ.

(وكيف لا) والله سبحانه وتعالى هو المستعان الذى: ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ..﴾ (١٧٦٥)، وهو القائل فى قرآنه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١٧٦٦)، والقائل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (١٧٦٧)، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (١٧٦٨).

(١٧٦٣) النجم: ٥٨.

(١٧٦٤) المائدة: ٣٥.

(١٧٦٥) النمل: من الآية ٦٢.

(١٧٦٦) غافر: من الآية ٦٠.

(١٧٦٧) الأعراف: من الآية ٥٥.

(١٧٦٨) البقرة: من الآية ١٨٦.

وحسبك أن تستفيد بهذا المشار إليه فى هذا الحديث.. وهو أن كل عمل صالح ستتقرب إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ به على أساسٍ من الإخلاص .. فإنه لا شك سيكون سببًا فى نجاتك وخروجك من هذا الذى وقعت فيه، أو ستقع فيه ما دمت فى هذه الدنيا التى لا أمان لها.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

هِيَ الدُّنْـيا تقــولُ بِملءْ فيهــا حَذَارِ حَذَارِ من بَطْشى وفَتْكى

فَلاَ يَغْرركُمــوا منِّــى ابتسَــامٌ فَقوْلى مُضْحكٌ والفِعْل مُبكـى

ولله درُّ الإمام الشافعى ﷺ، فلقد قال كذلك فى ذم الدنيا، والتحذير من غرورها:

ومن يَذُق الدنيــا فإنِّــى طعمتُهــا وسِيــق إلينــا عَذْبُهــا وعَذَابُها

فلــم أرهَــا إلاَّ غُــرورًا وبــاطــلاً كما لاَح فى ظَهْرِ الفَلاةِ سَرابُها

ومَــا هِــىَ إلاَّ جيفــةٌ مُسْتَحيلَةٌ عَلَيْها كلابٌ هَمُّهــنَّ اجتذَابُهــا

فإنْ تجتنبْها كنتَ سِلْمًا لأهْلِهَــا وإن تجتَذبْهَــا نازعتْــكَ كلابُهــا

فدعْ عنـك فَضَلاتِ الأمور فإنهــا حَرامٌ على نفس التقىِّ ارتكابُهــا

(أقول) إذا أراد الأخ المسلم أن ينتفع بهذا المشار إليه فى هذا الحديث من النماذج الحيَّة التى كانت ولا تزال من أهم أسباب الخير .. فإنه حسبى أن أذكِّر الأخ المسلم .. بل والأخت المسلمة .. ببعض الإشارات أو التنبيهات المتعلقة بتلك النماذج الثلاثة .. التى هى:

البر بالوالدين .. ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾(١٧٦٩).

وفى السنة الشريفة، ورد عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ: (**برُّوا آباءكم تبرُّكُم أبناؤكم، وعِفُّوا تعِفُّ نساؤكم**). [رواه الطبرانى بإسناد حسن]

(١٧٦٩) الإسراء آية: ٢٣.

وعلى هذا، فإنه ينبغى على الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يكونا من البارِّين بآبائهم وأمهاتهم، حتى يفوزا بدرجة البارِّين إن شاء الله .

وأما عن الرجل الثانى .. وهو الذى استطاع بتوفيق من الله وحفظه أن ينتصر على نفسه .. عندما توسلت إليه الفتاة الصالحة أن لا يفضَّ خاتمها إلا بحقه .. فاستجاب لتوسلاتها .. وانصرف عنها وهى أحب الناس إليه .. وترك لها الذهب الذى كان قد أعطاها إياه .. إنه بهذا فعلاً يستحق منا كل تقدير .. وقد قرأتُ نصاً جاء فيه: إن الله تعالى خلق الملائكة من عقل بلا شهوة، وخلق البهائم من شهوة بلا عقل، وخلق الآدميَّ من كلَيْهما .. فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه .

فلتكن أيها الأخ المسلم ملائكياً .. وإياك أن تكون بهيمياً، والعياذ بالله..

وأما عن الرجل الثالث .. فهو الرجل المؤمن الصادق الذى نسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يُكثِر من أمثاله .. وأن ينفعنا به .. اللهم آمين،،

(١١٩) ماذا قالَ الرسولُ ﷺ للثلاثة الذين نذَر أحدهم أنْ يُصلِّىَ الليلَ أبدًا، ونذر الثانى أن يصوم الدهرَ أبدًا، ونذر الثالثُ أنْ يعتزلَ النساءَ فلاَ يتزوج أبدًا ؟

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رهْط [١٧٧٠] إلى بُيوت أزواج النبىِّ ﷺ يسألون عنْ عبادة النبى ﷺ، فلَمَّا أُخْبِروا كَأَنَّهُم تَقَالُّوها [١٧٧١]، وقالوا: أين نحنُ من النبىِّ ﷺ وقد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم: أمَّا أنا فأصلِّى الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهرَ أبدًا ولاَ أُفْطر، وقال الآخر: وأنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوجُ أبدًا .. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، وقال:

(١٧٧٠) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

(١٧٧١) أى: اعتبروها قليلة . . بالنسبة إلى فهمهم.

(أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنِّى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّى أصومُ وأُفطرُ، وَأُصلِّى وأرقد، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ: فَمَنْ رغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَليسَ مِنِّى). [متفق عليه]

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح: يُعلِّمنا الرسول ﷺ من خلال قوله للأصحاب الثلاثة وهم: ـ على بن أبى طالب، وعبدالله بن عمرو بن العاص ـ وعثمان بن مظعون ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ: كيف تكون العبادة لله رب العالمين بدون تشدُّد أو مُغَالاة لا تتفق مع سماحة هذا الدين الحنيف الذى بُنِى على أساس متين، تحت عنوان:

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(١٧٧٢)، وقوله: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** (١٧٧٣) .. (وذلك) حتى لا يكون هناك مَا يُسَمَّى بالفتور، أو التعب الذى قد لا يستطيع الإنسان المسلم بسببه مواصلة عبادة الله تعالى بنفس القوة والنشاط الذى كان يعبد الله تعالى به قبل هذا .. (أعنى) قبل أن يُحمِّلَ نفسه فوق طاقته .. (هذا) بالإضافة إلى عدم تمكُّنه من أداء أعماله ـ الوظيفية، أو الصناعية، أو الزراعية، أو التجارية ـ التى سيستطيع بها أن يواصل مسيرةَ الحياة بدون ضعف أو هَوان.

(ولهذا) فقد ورد:

(عن) عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال له: **(بلغنى أنكَ تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ، فلا تفعل فإنَّ لجسدك عليك حظّاً**(١٧٧٤)**، ولعينيك عليك حظّاً، وإن لزوجك عليك حظّاً، صم وأفطر، صم من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صوم الدهر)**. قلت: يا رسول الله، إن لى قوة ؟ قال: **(فَصُمْ صوم داود عليه السلام: صُمْ يومًا وأفطر يومًا)** فكان يقول: يا ليتنى أخذت بالرخصة. [رواه البخارى ومسلم]

(١٧٧٢) البقرة: من الآية ٢٨٦.

(١٧٧٣) التغابن: من الآية ١٦.

(١٧٧٤) أو: حقّاً وكلاهما ورد فى الحديث الصحيح.

وروى البخارى ومسلم، قال: أُخْبِرَ رسول الله ﷺ أنَّه ـ أى: عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما يقول: لأقومَنَّ الليل، ولأصومَنَّ النهارَ ما عشْتُ، فقال رسول الله ﷺ: **(إنك الذى تقول ذلك؟)** فقلت له: قد قلته يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **(فإنك لا تستطيع ذلك، فَصُمْ وأفطِرْ، ونَم وقُم، صُمْ من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك صيامُ الدهر)** قال: فإنِّى أُطيقُ أفْضَلَ من ذلك يا رسول الله؟ قال: **(صُمْ يومًا وأفطر يومين)** قال: فقلت: **إنى أُطيقُ** أفضل من ذلك يا رسول الله؟ قال: **(فَصُمْ يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود، وهو أعدل الصيام)** قال: فإنِّى أُطيق أفضل من ذلك.

زاد مسلم: قال عبدالله بن عمرو: لأن أكون قبلتُ الثلاثة التى قال رسول الله ﷺ أحبَّ إلىَّ من أهلى ومالى . وفى أخرى لمسلم: قلت: يا رسول الله، ما أردتُ بذلك إلا الخير؟ قال: **(لا صامَ مَنْ صامَ الدهرَ)** وفى رواية: (الأبد) .

(وعن) أنس رضي الله عنه قال: دخل النبى ﷺ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين[١٧٧٥]، فقال: **(ما هذا الحبل؟)** قالوا: هذا حبل لزينبَ فإذا فتَرَتْ[١٧٧٦] تعلقت به، فقال النبى ﷺ: **(حُلُّوهُ ليُصَلِّ أحدُكُم نشاطه، فإذا فتر فليرقُد)**. [متفق عليه]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:**(إذا نعسَ أحدكُم وهو يُصَلِّى فليرقُدْ حتى يذهبَ عنه النومُ، فإن أحدكُم إذا صَلَّى وهو ناعِسٌ لا يدرى لعلَّهُ يذهبُ يستغفرُ فيَسُبَّ نفسه)**. [متفق عليه]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبى ﷺ يخطبُ، إذ هو برجُل قائم فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يقعدَ ولا يستظلَّ ولا يتكلَّم ويصومَ . فقال النبى ﷺ: **(مُرهُ فليتكلَّم، وليستظِلَّ، وليقعُدْ، وليُتِمَّ صومَه)**. [رواه البخارى]

فمن كل تلك الأحاديث الشريفة الصحيحة نستطيع أن نفهم المعنى المراد من

(١٧٧٥) أى: بين العمودين.

(١٧٧٦) أى: تعبت.

قول الرسول ﷺ للثلاثة الذين قالوا ما جاء فى نص الحديث الشريف الذى ندور حوله ..(وذلك) حتى لا يكون هناك ملل أو فتور .

(فعن) عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأةٌ. قال: مَن هذه؟ قالت: هذه فلانةٌ تذكر من صلاتها . قال: (مَهْ [١٧٧٧])، **عليكم بما تُطيقُون، فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تملُّوا)** وكان أحَبَّ الدين إليه ما داوم صاحبه عليه .

[متفق عليه]

(ومعنى): لا يمل الله، أى: لا يقطع ثوابه عنكم، وجزاءَ أعمالكم، ويُعاملُكم مُعَامَلَةَ المالِّ حتى تَمَلُّوا .. فتتركوا .. فينبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه، ليدوم ثوابُه لكم وفضله عليكم.

(وهذا) معناه كذلك أنه لابد أن يكون هناك اقتصاد فى طاعة الله تبارك وتعالى .. (أعنى) لابد أن تكون هناك وسطية واعتدال .

(فعن) أبى رِبْعِىٍّ حنظلةَ بن الربيع الأسَيِّدِيِّ الكاتب أحد كُتَّاب رسول الله ﷺ قال: لقينى أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلةُ ؟ قلتُ: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ فقلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذكِّرنا بالجنَّة والنار كَأنَّا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسْنَا الأزواجَ والأولادَ والضَّيْعَات [١٧٧٨] نسينَا كثيرًا . قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنَّا لنلقى مثلَ هذا . فانطلقنا أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلتُ : نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **(وما ذاك؟)** قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذكِّرنا بالنار والجنة رأى العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولادَ والضيعات نسينا كثيرًا؟ فقال رسول الله ﷺ: **(والذى نَفْسى بيده، لو تدومون على ما تكونون عندى ـ عليه ـ وفى الذِّكر لصافحتكم الملائكةُ على فُرشِكُم وفى طرقِكُم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً ثلاثَ مرات)**. [رواه مسلم]

(وتلك) كانت حياةُ الرسول ﷺ وعبادته .. كما قال للثلاثة فى نص الحديث

(١٧٧٧) مَهْ: كلمة نهى وزجر.

(١٧٧٨) (عافسْنا) هو بالعين والسين المهملتين، أى: عالجنا ولاعبنا، والضيعات: أى المعايش.

الشريف الذى ندور حوله: (.. **أما والله إنِّى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّى أصوم وأفطر، وأُصلِّى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغِبَ عن سنتى فليس منِّى**) .

(فعن) أبى عبدالله جابر بن سَمُرة ﷺ قال: كنتُ أُصلِّى مع النبى ﷺ الصَّلوات، فكانت صلاتُه قصدًا وخُطبتُه قَصدًا. [رواه مسلم]

(وقوله: قصدًا) أى: بين الطول والقصر .

(وعن) عائشة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يُفطر، ويُفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيتُ رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر صيامًا منه فى شعبان.

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود]

(وقد) قرأتُ أن رجلاً ذهب إلى عبدالله بن عباس ﷺ فقال له: إن العرب تقول: (حُبُّ التَّنَاهى شَطَط، خير الأمُور الوَسَط) فهل نجد هذا المعنى فى القرآن الكريم؟ فقال له ابن عباس:نعم فى أربعة مواضع:

فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾ (١٧٧٩) أى: وسط بين الكِبَر والصِّغَر.

ـ وفى قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ (١٧٨٠) أى: فتوسط بين الأمرين .

ـ وفى قوله تعالى:

﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ (١٧٨١)، وهذا السبيل هو الوسط .

(١٧٧٩) البقرة: من الآية ٦٨ .

(١٧٨٠) الإسراء: ٢٩ .

(١٧٨١) الإسراء: من الآية ١١٠ .

ـ وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ (١٧٨٢)، أى: وسَطًا.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. حتى يكونا من أهل الوسَطِيَّة والاعتدال إن شاء الله .. والله ولىُّ التوفيق،،

(١٢٠) هل سندْخُلُ الجنَّةَ بأعمالنَا يَا رسُولَ الله؟

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ أنها كانت تقول: قال رسول الله ﷺ: (**سَدِّدُوا**(١٧٨٣)، **وقارِبُوا** (١٧٨٤)، **وأبشِرُوا** (١٧٨٥)، **فإنه لن يُدخلَ أحدًا الجنةَ عملهُ**) قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله ؟ قال: (**ولاَ أنا، إلا أن يَتَغَمَّدَنى اللهُ برحمته**). [رواه البخارى ومسلم وغيرهما]

وعن أبى سعيد الخُدرىِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لن يَدْخُلَ الجنةَ أَحَدٌ إلا برحمة الله**)قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (**وَلاَ أنا إلاَّ أَنْ يتغَمدنى اللهُ برحمته**) وقال بيده فوقَ رأسه (١٧٨٦). [رواه أحمد بإسناد حسن، ورواه البزار والطبرانى من حديث أبى موسى، والطبرانى أيضًا من حديث شريك بن طارق بإسناد جيد .. (وهو) موافق للحديث الصحيح الذى قبله]

ففى هذين الحديثين الشريفين يجيب النبى ﷺ ـ على هذا التساؤل الهام الذى وُجِّه إليه ـ بتلك الإجابة الهامة التى لابد أن نكون قد وقفنا على أبعادها والمراد منها .. حتى لا نتَّكل على أعمالنا .. ونكون دائمًا وأبدًا ـ مع تلك الأعمال الصالحة الخالصة ـ من المؤمنين الصادقين الذين يتضرَّعُون إلى الله تعالى أن يتقبل منهم أعمالَهُم ..وأن يرحمهم.. وأن يجعلهم أهلاً لدخول جَنَّته. إن شاء الله.

(وذلك) لأنه ليس بفرض على الله تعالى أن يدخلنا الجنة .. (فهو) سبحانه

(١٧٨٢) الفرقان: ٦٧.

(١٧٨٣) قال فى النهاية: (أى: اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة، وهو القصد فى الأمر والعدل فيه).

(١٧٨٤) أى: وحاولوا القرب من الكمال إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل.

(١٧٨٥) يعنى: أمِّلوا خيرًا وتوقَّعُوا كل ما يسركم من فضل الله ورحمته.

(١٧٨٦) يعنى: أشار بها مبينًا لكيفية شمول الرحمة وتغطيتها للعبد.

وتعالى يتصرف فى خلقه ومُلكه كيف يشاء .. إن أدخلنا الجنَّةَ فبفضله، وإنْ أدخلنا النارَ فبعدله .. قال تعالى: ﴿ **يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ (١٧٨٧).

(ونحن) نعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه سبحانه وتعالى لن يظلمنا: لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (١٧٨٨).

وقد قال بعض العلماء فى معنى قول الرسول ﷺ: **(لن يُدخلَ أحدًا الجنةَ عملهُ)** أى: العمل العارى عن القبول، وأما إذا تفضل الله بقبول العمل كان سببًا مُفْضيًا لدخول الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿**أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (١٧٨٩)، والمقصود أن العمل وحده لا ينهض بإدخال صاحبه الجنة، بل لابد من رحمة الله عز وجل.

(ومعنى) قوله: **(إلا أن يتغمدنى اللهُ برحمته)** أى: يلبسُنيها ويسترنى بها: مأخوذ من غِمْد السيف وهو غلافه .. كما قال فى النهاية.

(وفى الحديث) الأول والثانى: الحث على التوسُّط والاعتدال فى العبادة مع رجاء القبول من الله عز وجل وعدم التعويل على العمل فى بلوغ المطلوب .. بل على رحمة الله وحدها .. فهو الذى برحمته يوفق للعمل، وهو الذى يتفَضَّل بقبوله والإثابة عليه .. فمآل الأمر كله إلى الرحمة.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يفهما المراد من هذين الحديثين الشريفين .. حتى يعملا ليلاً ونهارًا على أن يكونا أهلاً لرحمة الله تعالى الذى ما خلق الجنةَ، وما أعدَّها إلا لمن أطاعه، ولو كان عبدًا حبشيًا وما خلق النار وما أعَدَّها إلا لمن عصاه، ولو كان شريفًا قُرشيًا .. قال تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ۞ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (١٧٩٠)، والله ولى التوفيق،،

(١٧٨٧) الإنسان: ٣١ .
(١٧٨٨) يونس: ٤٤ .
(١٧٨٩) الأعراف: من الآية ٤٣.
(١٧٩٠) المؤمنون: ١٠١، ١٠٢. (وذلك) كله لن يكون إلاَّ بفضل الله ورحمته التى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لها .. اللهم آمين.